المتشابه اللفظي في سورة البقرة – دراسة تفسيرية –

Verbal Resemblance in Surah Al-Baqarah - An Interpretive Study

إعداد

م. د. حمادي حسين علي المشهداني

Written by:

Dr. Hammadi Hussein Ali

١٤٤٦هـ ٢٠٢٥م

الملخص

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد الأمين المؤيد بالوحي والقرآن العظيم، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن علم المتشابه اللفظي واحداً من علوم القرآن التي اهتم بها كبار العلماء، وكرّسوا جلّ حياتهم للكتابة والتصنيف فيه، كونه واحداً من ألوان الإعجاز القرآني ووجه من وجوه بلاغته، فكان عنوان بحثي في هذا الموضوع: (المتشابه اللفظي في سورة البقرة – دراسة تفسيرية)، وما ذكره العلماء من توجيه لهذه الآيات المتشابهات في سورة البقرة مع ما شابهها من آيات في بقية سور القرآن الكريم، فكانت خطة دراستي في هذا البحث هي من: مقدمة، وثلاثة مباحث، المبحث الأول وقد بينت فيه معنى المتشابه اللفظي في كتب اللغة، وفي اصطلاح العلماء كعلم مختص، وأما المبحث الثاني فكان في أهمية هذا العلم وأسباب ظهوره وأبرز المؤلفات التي كتبت فيه، وجاء المبحث الثالث؛ ليكون ميدان العمل في توجيه التشابه والاختلاف بين الآيات المتشابهات في سورة البقرة مع غيرها من الآيات في السور القرآنية، وأنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي، ثم عملت ثبتاً بالمصادر والمراجع التي استقيت منها معلومات بحثي هذا.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به طلبة العلم وباحثه والناس أجمعين وصلّ اللهم وسلم على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

Abstract

The discipline of verbal resemblance (al-mutashabih al-lafzi) is one of the Quranic disciplines that has garnered significant attention from prominent scholars, who dedicated much of their lives to writing and compiling works on this subject. This is due to its status as one of the aspects of the Quran's miraculous nature (i'jaz) and a testament to its eloquence. The title of my research on this topic is: "Verbal Resemblance in Surah Al-Baqarah – An Interpretive Study." The study examines how scholars have addressed and explained the resemblances between similar verses in Surah Al-Baqarah and other verses across the Quran.

The research is structured into an introduction and three main sections. The first section defines verbal resemblance in linguistic terms and as a specialized discipline according to scholars. The second section discusses the importance of this science, the reasons for its emergence, and the most notable works written on the subject. The third section focuses on analyzing and explaining the resemblances and differences between similar verses in Surah Al-Baqarah and other Quranic chapters. The research concludes with a summary of the key findings derived from this study. These findings highlight the significance of understanding verbal resemblance as a means to appreciate the Quran's linguistic brilliance, coherence, and depth, particularly in Surah Al-Baqarah, which serves as a rich field for exploring this unique aspect of Quranic studies.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي انزل الفرقان وعلم القرآن، والصلاة والسلام على خير الأنـــام ومصـــباح الظلام سيدنا محمد الامين المؤيد بالوحي والقرآن العظيم، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن علم المتشابه واحد من علوم القرآن التي ولدت في أحضان أئمة القراء ونمـــا علـــى أيدي كبار العلماء الذين عكفوا طوال حياتهم علـــى إحاطـــة كتـــاب الله بعقـــولهم وقلـــوبهم وأبصارهم، وبذلوا في خدمته عصارة أعمارهم وأوقاتهم حتى عدّوا كلماته وحروفه، وذكـــروا الفرق بين الآيتين أو الآيات المتشابهة لفظاً من حيث التقديم والتأخير، والزيـــادة والنقصـــان، والذكر والحذف...إلى غير ذلك من أنواع المتشابه، وكثيراً ما يتصـــل الاخـــتلاف بمناســـبة السياق القرآني في عرض الآيات، وذكر الأحداث التي يشتمل عليها، بل أحيانا يتوقف توجيه الآيات التي فيها تشابه أو اختلاف على معرفة السياق الذي جاءت فيه الآية أو الآيات.

ويعد علم المتشابه اللفظي واحداً من ألوان الإعجاز القرآني، ووجها من وجوه بلاغتـــه، بل هو من أدق أنواعه، إذ البيان القرآني دقيق جدا في اختيار ألفاظه، وهـــذه حقيقـــة بيانيـــة مسلّمة، فالقرآن يختار لفظاً معيناً في آية ليؤدي معنى معيناً، ويختار في آيـــة أخـــرى، لفظـــاً آخر، ليؤدي معنى آخر، مع أن الموضوع واحد، وأن هذا العدول مقصود في البيان القرآني، وإن كان اختيار الكلمة الأولى في الآية الأولى في أعلى درجات البلاغة، فما السر والحكمـــة من وراء ذلك؟

لقد وقف العلماء العاملين أمام هذا التعبير القرآني المعجز فبـــذلوا أوقـــاتهم وجهـــودهم، واعملوا عقولهم، من أجل استخراج كنوزه، وفهم معانيه، وبيان وجه التشابه والاختلاف بـــين آياته، متذوقين حلاوته، فهو الذي لا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء، وكان أشهر مـــن

وقفوا في كشف هذه الأسرار، واستخراج هذه الكنوز، عن طريق توجيه الآيات المتشابهات: الشيخ الخطيب الإسكافي(ت٤٢٠هـ) في كتابه الدرة، والكرماني(٥٠٥هـ) في كتابه البرهان...، وابن الزبير(ت٧٠٨) في الملاك...، وابن جماعة (ت٧٣٣هـ) في الكشف...، ومن سار على نهجهم كما سنرى فيما بعد، وسيراً على هدي من سبق، خدمة لكتاب الله، وتدبراً لآياته سرت في دربهم متأملاً مع علمي بقصور نفَسي في الوصول إلى ما بلغوا من حسن توجيههم، وبيانهم لأسرار التعبير القرآني المعجز، ولكن حسبي من سيري هدفي ونيتي، فكان عنوان البحث: **(المتشابه اللفظي في سورة البقرة – دراسة تفسيرية –)**.

أما **سبب اختياري لهذا الموضوع دون غيره؛** فهو دراستي للكتب الثلاث الاولى المذكورة في اعلاه كاملة متعقبا الآيات فيها، مما جعلني أشعر بلذة هذا العلم، فكنت أجد متعة في تذوق تلك الأسرار الكامنة من وراء دقة التعبير القرآني في اختيار ألفاظه لفظة لفظة، فأردت أن أتقرب من هدفي وأعيش في ظلال كتاب الله، مع توجيه العلماء لتلك الآيات المتشابهات.

فاقتضى البحث العلمي أن أقسمه إلى **مقدمة، وثلاثة مباحث، المبحث الأول بينت فيه معنى المتشابه اللفظي في كتب اللغة، وفي اصطلاح العلماء كعلم مختص، أما المبحث الثاني فكان في أهميته وأسباب ظهوره وأبرز المؤلفات فيه، وجاء المبحث الثالث؛ ليكون ميدان العمل في توجيه التشابه والاختلاف بين الآيات المتشابهة في سورة البقرة مع غيرها من السور القرآنية بقدر ما يسمح به وقت البحث من حيث الزمان في عدد الآيات المراد دراستها، وأنهيت البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النقاط التي توصلت إليها في بحثي لهذا الموضوع، ثم عملت ثبتاً بالمراجع التي استقيت منها معلومات البحث.**

سائلاً المولى سبحانه أن أكون قد وفقت في الإحاطة بجوانب هذا الموضوع المهم الشيق، وأن يغفر لي إن زل قلمي، وأن يشملني وجميع المسلمين برحمته الواسعة، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

المبحث الأول: مفهوم المتشابه اللفظي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم المتشابه في اللغة

التشابه لغةً: مصدر من تشابه يتشابه، من باب التفاعل، وبمعنى: التماثل والتشاكل.

وقد ذهب أكثر اللغويين والمفسرين إلى عدم الفرق بين: (المتشابه) و(المشتبه).

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): الشين والباء والهاء أصل واحد، يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً[١].

وقال الزمخشري (ت٥٣٨هـ): يقال: اشتبه الشيئان وتشابها، كقولك: استويا وتساويا، والافتعال والتفاعل يشتركان كثيراً[٢].

وقال ابن عاشور: والتشابه والاشتباه: مترادفان، كالتساوي والاستواء، وهما مشتقان من: الشبه، والجمع بينهما في الآية (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشابِهاً وَغَيْرَ مُتَشابِهٍ) (الأنعام:١٤١) للتفنن كراهية إعادة اللفظ، ولأن اسم الفاعل من: التشابه أسعد بالوقف لما فيه من مد الصوت، بخلاف (مشتبه)، وهذا من بديع الفصاحة.

والتشابه: التماثل في حالة، مع الاختلاف في غيرها من الأحوال، أي: بعض شجره يشبه بعضاً وبعضه لا يشبه بعضاً، أو بعض ثمره يشبه بعضاً وبعضه لا يشبه بعضاً، فالتشابه

---

(١) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) ، **معجم مقاييس اللغة**، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشامي ، دار الحديث- القاهرة، (٢٠٠٨م)، ص:٤٦٩.

(٢) ينظر: الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، دار الكتاب العربي ــ بيروت (١٤٠٧ هـ)، ج٢، ص٥٢.

مما تقارب لونه أو طعمه أو شكله مما يتطلبه الناس من أحواله على اختلاف أميالهم، وعدم التشابه ما اختلف بعضه عن البعض الآخر فيما يتطلبه الناس من الصفات على اختلاف شهواتهم(١).

ومنهم من فرق بينهما فرقاً دقيقاً، فجعل:(المتشابه) بمعنى: المتماثل، و(المشتبه) بمعنى: المشكِل والْمُلْبِس.

قال الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ): (الشِّبه: المِثل، وشابهه وأشبهه : ماثله، وتشابها واشتبها : أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا، وأمور مشتبهة ومشبهة – كمعظمة – : مشكلة)(٢).

وقال الفيومي(ت٧٧٠هـ): (واشتبهت الأمور وتشابهت: التبست فلم تتميز ولم تظهر ... وتشابهت الآيات : تساوت أيضاً، وشبهته عليه تشبيها، مثل : لبسته عليه تلبيساً، وزنا ومعنى، فالمشابهة: المشاركة في معنى من المعاني، والاشتباه: الالتباس)(٣).

وبالتأمل في التعريف اللغوي لمادة (شبه) يُظهر أن المادة تدور على أصل التماثل، والمشكلات من الأمور، والمشتبهات.

---

(١) ينظر: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير** المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٦ص:٢٤٢.

(٢) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **القاموس المحيط** ، ص:١٦١٠، مادة(ش ب هـ).

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى : نحو ٧٧٠هـ) ، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، ج٤، ص٤٣٢.

المطلب الثاني: مفهوم المتشابه في الاصطلاح

لم يرد عن أهل العلم تعريف منضبط ومحدد للمتشابه اللفظي حسب علمي وبحثي؛ فهو بحسب الإسكافي والكرماني[١]: المكرر المختلف في ألفاظه. وعند ابن الزبير الغرناطي[٢] ما تكرر لفظه، أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير.

وعرفه الزركشي في برهانه، حيث قال:(هو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة)[٣].

ومثله قال الإمام السيوطي في الإتقان، إلا أنه وضحه بقوله:(بل تأتي في موضع واحد مقدماً، وفي آخر مؤخراً ... أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها ... أو في موضع معرفاً وفي آخر منكراً، أو مفرداً، وفي آخر جمعاً، أو بحرف، وفي آخر بحرف آخر، أو مدغماً، وفي آخر مفكوكاً...)[٤]. وذكر لكل ذلك أمثلة نموذجية مع توجيهها.

فالمراد من الآيات المتشابهات هنا: هو مجيء كلمات وجمل قرآنية مماثلة في أكثر من موضع يشبه بعضها بعضاً بكاملها أو بزيادة كلمة في موضع وحذفها في آخر، أو بالتقديم

---

(١) ينظر: الاسكافي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب(ت٤٢٠هـ)، **درة التنزيل وغرة التاويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز** ، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت-لبنان، ط١(٢٠٠٢)ص المقدمة.، والكرماني، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني(ت٥٠٥)، **البرهان في توجيه متشابه القرآن الكريم**، تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث، ط١(٢٠٠٧م) ص٩.

(٢) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، ابي جعفر أحمد بن ابراهيم، (ت٧٠٨)، **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١(٢٠٠٦م) ج١، ص:٦ .

(٣) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى : ٧٩٤هـ)، **البرهان في علوم القرآن** تحقيق : أبي الفضل الدمياطي ، دار الحديث- القاهرة، ط(٢٠٠٦) ، ص٨٧.

(٤) ينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث-القاهرة، ط١(٢٠٠٧م) ، ج٣ص٣٥١.

والتأخير، أو الجمع والإفراد أو التعريف والتنكير أو الماضي والمضارع أو الغيب والخطاب.. وهكذا بحيث تشكل على القارئ وتلتبس عليه في الحفظ.

ومما سبق يمكن أن نعرف المتشابه اللفظي بأنه: ما توارد من الآيات بنوع من التبديل والتغيير في الفاظها.

المبحث الثاني: أهميته وأسباب ظهوره وأبرز المؤلفات فيه

المطلب الأول: أهميته وأسباب ظهوره

من المعلوم أن علوم القرآن متعددة ومتنوعة، فمن جملتها: المتشابه اللفظي أو علم الآيات المتشابهات، وقد اهتم به القراء في إتقان حفظ القرآن وضبط ألفاظه، وهو يبرز جانباً مهماً من جوانب إعجاز القرآن، ويحافظ على نص القرآن الكريم، وألفاظه من تسرب التحريف واللحن والخطأ إليه، ولعل من أبرز أسباب الخوض في هذا الميدان هو كون الكلمات أو الآيات والجمل القرآنية: مماثلة، وكونها: تُشكل على القرّاء والحفّاظ وتلتبس عليهم عند الحفظ والقراءة[١]، وهذا ظاهر حيث إن كثيراً من الكتب المصنفة قديماً اقتصرت على بيان الآيات المتشابهة والمختلفة دون توجيه وما حصل من اختلاف أو تشابه، أو تعليل ذلك، أو بيان سر التعبير القرآني في هذه المتشابهات، إلا فيما بعد[٢]. ومن أجل ذلك قال الإمام الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) في الدرة: (..إني مذ خصني الله تعالى بإكرامه وعنايته، وشرفني بإقراء كلامه ودراسته، تدعوني دواع قوية، يبعثها نظر وروّية، في الآيات المتكررة،

(١) ينظر: عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، **منظومتان: هداية المرتاب** ، للإمام السخاوي ، **وكفاية القارئ**، للإمام الحارثي التتوي (تعريف ومقارنة)، ص٢.

(٢) كالإسكافي، والكرماني، والغرناطي، والسيوطي، وغيرهم.

بالكلمات المتفقة والمختلفة، وحروفها المتشابهة المنغلقة والمنحرفة، تطلّباً لعلامات ترفع لبس إشكالها، وتخص الكلمة بآيتها دون أشكالها..)[١].

إذاً فالمتشابه اللفظي هو وجه من وجوه الإعجاز البياني، بل هو أظهر وجوه الإعجاز ودقائقه، فإن اختيار القرآن لفظاً معينا في آية ليؤدي معنى معيناً، ولكنه يختار في آية أخرى لفظاً آخر ليؤدي معنى آخر، مع إن الموضوع في الآيتين ظاهره واحد. فالقرآن دقيق في اختيار ألفاظه، فقد يكون التشابه باختيار كلمة بدل أخرى، أو في حرف من حروف الكلمة، علماً بأن هذا العدول مقصود في البيان القرآني، وأن هذا التبديل والاختيار يحقق أعلى درجات البلاغة، ويؤدي بالمعنى إلى أتمّ صوره، وهذا يقرر الإعجاز البليغ فيه.

والحكَم في استعمال اللفظ القرآني في موضعه هو (السياق) العام، سواء كان سياق الآية أم سياق الآيات التي قبلها والتي بعدها، والتدبر الفاحص للسياق(السباق واللحاق)هو الذي يقود إلى حكمة "التشابه" العام بين الآيتين في معظم ألفاظهما، و"الاختلاف" اليسير الخاص في بعض ألفاظهما، مع وحدة موضوعهما[٢].

ويمكن بيان بعض فوائد معرفة علم المتشابهات لتزيد من أهميته ومنها:

- أنه نوع من التفسير للقرآن، فهو بهذا يكتسب أهميته، مثلما يكتسب علم التفسير أهميته.
- يُبيّن إعجاز القرآن ببلاغته النافذة، وأسلوبه البديع؛ كون أن وجود المتشابه اللفظي، مع عدم قدرة العرب على الإتيان بمثله دليل على عجزهم.

---

(١) الاسكافي، ابي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب، **درة التنزير وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز** ، اعتنى به: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت–لبنان، ط١(٢٠٠٢) المقدمة.

(٢) ينظر: الخالدي، د. صلاح عبد الفتاح، **إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني**، دار عمار، ط٣(٢٠٠٨م) ص:٢١٩.

- يدل على صدق نبوة النبي ﷺ؛ وذلك حين تتجلى الصور البلاغية البديعة في ثنايا المتشابه اللفظي، وقد أخذها العرب قديماً وعقلوها، وما حاولوا قط معارضة القرآن الكريم.
- يرد على أهل الكفر والضلال زعمهم أنّ المتشابه ما هو إلا تكرار يغني بعضه عن بعض؛ وذلك بإظهار عظمة القرآن وبلاغته في متشابهه.
- يساعد على إتقان حفظ القرآن العظيم وهذا ما بيناه سابقاً.
- يزيد المؤمن بكتاب الله إيماناً؛ لما يتبين له من فنون البلاغة، التي وقف من دونها الفصحاء وعجز عنها البلغاء.

هذا وقد اعتمد علماء هذا الفن أصولاً محددة، ومنهجية خاصة، يتم من خلالها توجيه المتشابه من الألفاظ. ويأتي في مقدمة هذه الأصول: النظر في (سياق) كل لفظ من الألفاظ المتشابهة، يقول الزركشي–رحمه الله– في هذا الصدد: "وطريق التوصل إلى فهمه، النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السّياق"(١).

والذي ينبغي التنبيه إليه في هذا الموضوع، أن جهود المصنفين في هذا العلم "المتشابه اللفظي" متفاوتة من حيث الدقة في توجيه التشابه والاختلاف بين الآيات القرآنية، فبعضها مجرد إشارات خالية من الدقة، تحتاج إلى متابعة لاستخراج سرها المكنون، وتحليلها تحليلاً بيانيا يُظهر عظمة التعبير القرآني، الذي هو دليل على مصدر القرآن الكريم الرباني والله اعلم.

المطلب الثاني: أبرز المؤلفات في المتشابه اللفظي

(١) الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، مصدر سابق ، ص٢٠٤.

لقد حضي هذا العلم باهتمام علماء المسلمين فيه وخير شاهد على ذلك ما احتوته المكتبات الإسلامية اليوم من كنوز هذا الفن الفريد، وفيما يلي بيان لبعض هذه المصنفات:

يرى الإمام السيوطي أن أول من أفرد المتشابهات بالتصنيف هو: الإمام علي بن حمزة الكسائي – أحد القراء المشهورين – (ت١٨٩هـ)[١].

وكان منهج أولئك الأئمة الأعلام هو حصر وجمع مواضع التشابه من الآيات القرآنية وتصنيفها لتقوية حفظ القراء.

ثم تطور التأليف في هذا العلم، فبدأ العلماء بذكر مواضع التشابه مع توجيهها وبيان أسرار تشابهها وتكرارها، ومن أشهر وأبرز المؤلفات فيه:

- متشابه القرآن العظيم لأبي الحسين أحمد بن جعفر ابن المنادي (ت٣٣٦هـ).
- درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ).
- البرهان في متشابه القرآن للكرماني (ت ٥٠٠هـ).
- متشابه القرآن على حروف المعجم لمحمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ).
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه متشابه اللفظ من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي (ت٧٠٨هـ).
- كشف المعاني في متشابه المثاني لابن جماعة (ت٧٣٣هـ).
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي (ت٨١٧هـ).
- أسرار التنزيل المسمى: قطف الأزهار في كشف الأسرار للإمام جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ).

(١) ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مصدر سابق ، ج٣ص:٣٥١.

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لزكريا بن محمد الأنصاري (ت٩٢٦هـ).

وغيرها من الكتب التي يطول المقام بحصرها واستقصاءها.

أما المنظومات، فهي:

- هداية المرتاب لعلم الدين السخاوي (ت٦٤٣هـ).
- تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن لأبي شامة المقدسي (ت٦٦٥هـ).
- كفاية القاري في مشتبهات القرآن للتتوي (١١٧٤هـ).
- منظومة العلامة محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت١٢٨٧هـ)[١].

بعض من ألف في المتشابهات من المعاصرين:

اهتم بعض المعاصرين بهذا الجانب وعملوا على جمع وحصر وترتيب الآيات المتشابهات، وألّفوا فيه المؤلفات، ومن هذه المؤلفات هي:

١- إتحاف أهل العرفان بالمنفردات من آي القرآن: للشيخ محمد أبو الخير ميرداد.

٢- الإيقاظ لتذكير الحفاظ بالآيات المتشابهة في الألفاظ: للشيخ جمال بن عبد الرحمن إسماعيل.

٣- تنبيه الحفاظ للآيات المتشابهة الألفاظ: محمد بن عبد العزيز المسند.

٤ – التوضيح والبيان في تكرار وتشابه آي القرآن: عبد الغفور عبيد البنجابي.

٥- دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن: ترتيب: الحاج صالح ناظم.

---

(١) ينظر: عبد القيوم، **منظومتان**، مصدر سابق ، ص٤- ٥ -٦. وما بعدها.

وغيرها من المؤلفات، غير أن من أمعن النظر في مؤلفاتهم وجد أن أغلبها والمنـــاهج التي انتهجوها لحصر المتشابهات لا تساعد طلاب العلم في حفظ القــرآن الكــريم وإتقــانهم لمواضع تشابهه من وقوعهم في الخلط والغلط(١).

المبحث الثالث: أقسام المتشابه اللفظي وتوجيه العلماء للآيات المتشابهات فـــي سورة البقرة:

المطلب الأول: أقسام المتشابه اللفظي

أولاً : قسمه الإمام ابن الجوزي في كتابه (المدهش) إلى ثلاثة أقسام: الزيـــادة والـــنقص، والإبدال، والتقديم والتأخير، مع التمثيل لكل قسم(٢).

ثانيا: قسمه الإمام الزركشي إلى ثمانية أقسام، عُني بتوجيه بعضها في مواضع من كتابه "البرهان في علوم القرآن"(٣) ، ومثله السيوطي في إتقانه(٤) وهذه الأقسام هي:

١. المتشابه بأن يكون في سورة على نظم، وهو في سورة أخرى على عكسه وهو يشبه رد العجز على الصدر، ومثاله: في البقرة {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّـــةٌ}(٥٨)، وفي الأعراف {وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً}(١٦١).

٢. المتشابه بالزيادة والنقصان، ومثاله: فـــي البقـــرة {سَـــوَاءٌ عَلَـــيْهِمْ أَأَنْـــذَرْتَهُمْ أَمْ لَـــمْ تُنْذِرْهُمْ}(٦)، وفي يس {وسَوَاءٌ}(١٥) بزيادة واو.

---

(١) ينظر: عبد القيوم، **منظومتان**، مصدر سابق ، ص٤– ٥ –٦. وما بعدها.

(٢) ينظر: ابن الجوزي: أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر الجوزي، **المدهش**، تحقيـــق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٥، ص:١٨– ٢٢.

(٣) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، مصدر سابق ، النوع الخامس ، ص٨٧ ، وما بعدها

(٤) ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، مصدر سابق ، ج٣ص:٣٥١، وما بعدها.

٣. المتشابه بالتقديم والتأخير، ومثاله: في البقرة: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ}(١٢٩)، وفي الجمعة {يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}(٢).

٤. المتشابه بالتعريف والتنكير، ومثاله: في البقرة: {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}(٦١)، وفي آل عمران: {بِغَيْرِ حَقٍّ}.

٥. المتشابه بالجمع والإفراد، ومثاله:(في البقرة: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَةً}(٨٠)، وفى آل عمران: {مَعْدُودَاتٍ}(١٨٤).

٦. المتشابه بإبدال حرف بحرف آخر، ومثاله: (في البقرة: {اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلا}(٣٥) بالواو وفي الأعراف بالفاء: {فَكُلا}.

٧. المتشابه بإبدال كلمة بكلمة، ومثاله: (في البقرة: {مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}(١٧٠)، وفي لقمان: {وَجَدْنَا}.

٨. المتشابه بالإدغام وتركه، ومثاله: (في الأنعام: {لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ}(٤٢) وفي الأعراف: {يَضَّرَّعُونَ} .

والحقيقة أن المتشابه اللفظي لا يقتصر على الأنواع التي ذكرها الزركشي في كتابه، وإنما الميدان في هذا واسع جداً، ثم إن الأنواع التي ذكرها الإمام الزركشي في كتابه ينطوي تحت كل نوع منها أنواع أخرى، وفضلا عن أن بعض العلماء قد زاد عليها أنواعاً من المتشابه اللفظي، كالمتشابه بالإظهار والإضمار، والمتشابه بالإثبات والحذف، والمتشابه بالتذكير والتأنيث، وبالإجمال والتفصيل، وباختلاف الصيغة الصرفية ، والمتشابه بالإضافة وعدمها، وفيما يأتي بيان ذلك التفصيل بالتفصيل:

النوع الأول: المتشابه بالتقديم والتأخير، وهو أربعة أقسام :-

الأول: تقديم كلمة وتأخيرها: مثاله قوله تعالى: { وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى}(القصص:٢٠)، وقوله تعالى:{وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى} (يس٢٠)

الثاني: تقديم جملة وتأخيرها: مثاله قوله تعالى: {ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء} (الأنعام:١٠٢)، وقوله سبحانه: {ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو} (غافر:٦٢).

الثالث: الاختلاف في ترتيب المتعاطفات: مثاله قوله تعالى: {يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التي تؤويه} (المعارج:١١-١٣)، وقوله تعالى: {يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه} (عبس:٣٤-٣٦).

الرابع: تقديم الضمير وتأخيره: مثاله قوله تعالى: {وما أهل به لغير الله} (البقرة:١٧٣)، وقوله تعالى {وما أهل لغير الله به} (المائدة٣:).

النوع الثاني: المتشابه بالإبدال، وهو ثلاثة أنواع

الأول: إبدال حرف بآخر: مثاله قوله تعالى: {كل يجري لأجل مسمى} (الرعد:٢)، وقوله تعالى: {كل يجري إلى أجل مسمى}(لقمان٢٩:)

الثاني: إبدال كلمة بكلمة: مثاله قوله تعالى: {قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا} (البقرة:١٧٠)، وقوله تعالى: {قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا} (لقمان:٢١

الثالث: إبدال جملة بجملة: مثاله قوله تعالى: {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار} (إبراهيم:٣٤)، وقوله تعالى: {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم} (النحل١٨)

النوع الثالث: المتشابه بالإثبات والحذف، وهو ثلاثة أنواع:

أولاً: إثبات حرف وحذفه: مثاله قوله تعالى: {ولما جاءت رسلنا لوطا} (هود:٧٧)، وقوله سبحانه: {ولما أن جاءت رسلنا لوطا} (العنكبوت:٣٣

ثانياً: إثبات كلمة وحذفها: مثاله قوله تعالى: {ويكون الدين لله} (البقرة:١٩٣)، وقوله تعالى: {ويكون الدين كله لله}الأنفال:٣٩

ثالثاً: إثبات أكثر من كلمة وحذفها: مثاله قوله تعالى: {ولله ملك السماوات والأرض والله على كل شيء قدير} (آل عمران:١٨٩)، وقوله تعالى: {ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير) المائدة:١٧

النوع الرابع: المتشابه بالجمع والإفراد: مثاله قوله تعالى: {والذين هم على صلواتهم يحافظون} (المؤمنون:٩)، وقوله تعالى: {وهم على صلاتهم يحافظون} (الأنعام:٩٢). ومن هذا القبيل قوله عز وجل: {وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة} (البقرة:٨٠)، وقوله تعالى: {ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات} آل عمران:٢٤

النوع الخامس: المتشابه بالتذكير والتأنيث: مثاله قوله تعالى: {إن هو إلا ذكرى للعالمين} (الأنعام:٩٠)، وقوله تعالى: {إن هو إلا ذكر للعالمين} (يوسف:١٠٤). ٩٤

النوع السادس: المتشابه بالتعريف والتنكير: مثاله قوله تعالى: {رب اجعل هذا بلدا آمنا} (البقرة:١٢٦) وقوله سبحانه: {رب اجعل هذا البلد آمنا} (إبراهيم:٣٥).

النوع السابع: المتشابه بالإظهار والإضمار، وهو نوعان:

الأول: وضع المظهر موضع المضمر: ومثاله قوله تعالى: {ولكن أكثرهم لا يعلمون} (الأنعام:٣٧) وقوله تعالى: {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} (الأعراف:١٨٧). ومن هذا القبيل قوله عز وجل: {قال فرعون آمنتم به} (الأعراف:١٢٣)، وقوله تعالى: {قال آمنتم له}آل عمران:٧١

الثاني: الاختلاف في الضمائر: ومثاله قوله تعالى: {بل متعنا هؤلاء} (الأنبياء:٤٤)، وقوله سبحانه: {بل متعت هؤلاء} (الزخرف:٢٩).

النوع الثامن: المتشابه باختلاف الصيغة الصرفية، وهو أنواع:

أولاَ: متشابه بالإدغام والفك: مثاله قوله سبحانه: {ومن يشاقق الرسول} (النساء:١١٥)، وقوله تعالى: {ومن يشاق الله} (الحشر:٤).

ثانياً: متشابه بالتضعيف وعدمه: مثاله قوله تعالى: {وإذ نجيناكم من آل فرعون} (البقرة:٤٩)، وقوله سبحانه: {وإذ أنجيناكم من آل فرعون} (الأعراف:١٤١).

ثالثاً: متشابه بالتجريد والزيادة: مثاله قوله تعالى: {فمن تبع هداي} (البقرة:٣٨)، وقوله تعالى: {فمن اتبع هداي} (طه:١٢٣).

رابعاً: متشابه بالماضي والحاضر: مثاله قوله تعالى: {كذلك نسلكه} (الحجر:١٢)، وقوله تعالى: {كذلك سلكناه} (الشعراء:٢٠٠

خامساً: متشابه بالبناء للفاعل والبناء للمفعول: مثاله قوله تعالى: {وإذ قلنا ادخلوا} (البقرة:٥٨)، وقوله سبحانه: {وإذ قيل لهم اسكنوا} (الأعراف١٦)

سادساً: متشابه بجمع السلامة وجمع التكسير: مثاله قوله سبحانه: {نغفر لكم خطاياكم} (البقرة:٥٨)، وقوله تعالى: {نغفر لكم خطيئاتكم} (الأعراف:١٦١).

النوع التاسع: المتشابه بالإجمال والتفصيل: مثاله قوله تعالى: {وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة} (البقرة:٥١)، وقوله تعالى: {وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر} الأعراف:١٤٢

النوع العاشر: المتشابه بالإضافة وعدمها مثاله: قوله تعالى: {اذكروا نعمتي} (البقرة:٤٠)، وقوله تعالى: {واذكروا نعمة الله عليكم} (المائدة:٧).

المطلب الثاني: صور المتشابه اللفظي في سورة البقرة

سأوضح في هذا المطلب ما ورد في سورة البقرة من المتشابه والاختلاف اللفظي من بدايتها الى نهايتها وعلى حسب ترتيب آيات السورة مبيناً توجيهات العلماء لهذه المتشابهات، على النحو الآتي:

الموضع الأول: التشابه والاختلاف في قوله تعالى: (الم)البقرة:١، هذه الآية تتكرر في أوائل ست سور فهي من المتشابه لفظاً ومعنى-لاختلاف العلماء في مراد الله تعالى منه، واختلفت عنها في سورة الأعراف بزيادة –الصاد– وفي الرعد بزيادة – الرّاء – . وهذا التشابه هو: تشابه بالتكرار، وتشابه بزيادة حرف ونقصانه.

فما السر في هذا التعبير القرآني؟

لم يتطرق الشيخ الإسكافي في توجيه هذه الآية، ولم يبين وجه الشبه والاختلاف فيها، فهي مما أغفلها.

وللكرماني (ت٥٠٥هـ) فيها قول أراه بعيدا والله أعلم، وفيه نوع من التكلف، حيث يقول رحمه الله: (والموجب لذكره أول البقرة من القسم وغيره هو بعينه الموجب لذكره في أوائل سائر السور المبدوءة به، وزاد في الأعراف صادا لما جاء بعده من قوله تعالى(فلا يكن في صدرك حرج منه) [الأعراف: ٢] إشارة الى صدره-ﷺ- وزاد في الرعد (راء) لقوله تعالى بعده(الله الذي رفع السموات)[١].

وجاء ابن الزبير ليزيد على ما ذكره الكرماني بكلام جيد خلاصته: أن وجه اختصاص كل سورة منها بما به اختصت من هذه الحروف حتى لم يكن ليرد "الم " في موضع "الر "... إلى سائرها ، أن هذه الحروف لافتتاح السور بها ووقوعها مطالع لها كأنها أسماء لها بل هي جارية مجرى الأسماء، وإن هذه السور إنما وضع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركب من كلمها... وقد اطرد هذا في أكثرها فحق لكل سورة منها أن لا يناسبها غير الوارد فيها... فإذا أخذت كل افتتاح منها معتبرا بما قدمته ... بان وجه اختصاص كل سورة بما به افتتحت، وأنه لا يناسب سورة منها ما افتتح غيرها ، والله أعلم بما أراد[٢].

والحق: أن الله تعالى لا يقال له لِمَ فعل كذا وكذا فهو كلامه القديم وهو أعلم به، ولكن من باب التدبر والاهتمام بكتاب الله عزّ وجل نحا العلماء هذا المنحى، ولعل توجيه ابن الزبير

(١) الكرماني، **البرهان في متشابه القرآن الكريم** ، مصدر سابق، ص١٢.

(٢) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٢٣.

الغرناطي بقوله: إنما وضع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركب من كلمها... هو الذي تميل إليه الأنفس وتستريح، والله اعلم بالمراد.

الموضع الثاني: التشابه بين قوله تعالى: (ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ) (البقرة٢) فوصفه سبحانه بكونه: (هدى للمتقين)، وقال تعالى فى وصف التوراة والإنجيل في أول سورة آل عمران : (وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ)(٤) ولم يقل هنا (هدى للمتقين). وفي لقمان قال: (هدى ورحمة للمحسنين)، **ونوع هذا التشابه: هو تشابه بإبدال كلمة بكلمة أخرى، وتشابه بزيادة كلمة في موضع وحذفها في موضع آخر.**

والسؤال هو: ما هو وجه الفرق الموجب اختصاص كل من الموضعين بما ورد فيه؟ وهل كان يحسن ورود الناس في موضع المتقين وورود المتقين في موضع الناس ؟ أو حذف كلمة الرحمة من لقمان؟

والجواب : يقول ابن الزبير: إن الكتاب المشار إليه هو الكتاب العزيز الذي خصت به هذه الأمة، والتوراة كتاب موسى عليه السلام لبنى إسرائيل والإنجيل كتاب عيسى عليه السلام ولأمة محمد ﷺ الفضل المعلوم، فأشير بالمتقين إلى حال المخصوصين به ، وقيل في الآخرين:(هدى للناس) ليشعر بحال أهل الكتابين وفضل أهل الكتاب العزيز عليهم فلا يلائم كل موضع إلا بما ورد فيه(١).

وخلاصة كلام ابن الزبير أن أمة محمد ﷺ موصوفة بالمتقين، فيكون الكتاب هدى لهم وحدهم لأنهم وحدهم المنتفعين به، لكن السؤال أليس من آمن بموسى وعيسى علهما السلام متقين؟

(١) ابن الزبير، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٢٥.

والجواب والله أعلم: أن في ذكر المتقين في البقرة دون الناس إعجاز قرآني؛ لأن البقرة من أول السور المدنية، وتحدثت عن أول صنف ذكر في الفاتحة وهم المؤمنون، ثم ذكرت صنف المغضوب عليهم والضالين، وهنا جاءت (هدى للمتقين) وبما أن كل مؤمن من كل قوم متقي، فإن عدم ذكر المتقين من أصحاب التوراة والإنجيل حيث قال(وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ) إشارة إلى أن الكتاب القرآن نسخَ التوراة والإنجيل فلم تبق هدًى، ودليله قوله(من قبل)، فلم يقل "وانزل التوراة والإنجيل" فحسب بل قرنها بقوله: "من قبل" ، وكذا لم يقرنها بالمتقين؛ حتى لا يتوهم أن التقوى متحصلة من الكتب الثلاثة، ثم إن قوله (من قبل) مقطوع على الإضافة أي- من قبل ذلك- أي من قبل إنزال القرآن(١). فناسب ذكر (الناس) مع أهل الكتاب، وذكر(المتقين) مع المؤمنين، وهذا أليق توجيه وأحسنه والله اعلم.

أما ذكر الرحمة في لقمان حيث خلت منهما البقرة وآل عمران، فتوجيهه بما يأتي: في سورة البقرة جاء فيها (هدى للمتقين) وفي لقمان (هدى ورحمة للمحسنين) زاد تعالى في سورة لقمان "الرحمة" واختلف بين المتقين والمحسنين. فالمتّقي: هو الذي يحفظ نفسه؛ فمتقي النار هو الذي يحمي نفسه منها، أما المحسن فيُحسن إلى نفسه وإلى الآخرين كما جاء في قوله تعالى : (وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ)(القصص:٧٧) و(وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)(البقرة:٨٣)، فالإحسان فيه جانب شخصي وجانب للآخرين. إذن هناك فرق بين المتقي والمحسن، ثم إن الإحسان إلى الآخرين من الرحمة فزاد تعالى في سورة لقمان الرحمة للمحسنين فكما أن المحسن أحسن للآخرين ورحمهم زاد الله تعالى له الرحمة فقال (هدى ورحمة للمحسنين). فالمحسن إذاً زاد على المتقي فزاد الله تعالى له الرحمة، والإحسان من الرحمة فزاد الله تعالى

(١) عن محاضرة ألقاها الدكتور: شحادة العمري على طلبة التفسير في جامعة العلوم الإسلامية -عمان- بتاريخ :٢٠١٢/٣/١١.

له الرحمة في الدنيا (هدى ورحمة للمحسنين) وفي الآخرة أيضاً (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) [يونس: ٢٦]، فكما زاد المحسنون في الدنيا زاد الله تعالى لهم الرحمة في الدنيا والآخرة والجزاء من جنس العمل ولهذا اقتضى في آية سورة لقمان أن يقول تعالى (هدى ورحمة للمحسنين)، ولو قال تعالى "هدى للمحسنين" لبخس حق المحسنين وكما نعلم إن المحسن يَفْضل المتّقي، والإيمان أعمّ من الإحسان ولا يمكن للإنسان أن يكون متقياً حتى يكون مؤمناً وورود كلمة "المتقين"، "المؤمنين"، "المحسنين" و"المسلمين" يعود إلى سياق الآيات في كل سورة(١).

الموضع الثالث: المتشابه في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) وجاء في سورة يس بزيادة حرف العطف–الواو–قال تعالى(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) (يس:١٠).

فالتشابه هنا تام في ألفاظ الآيتين إلا بزيادة الواو في سورة يس. فما سر زيادتها ، وتركها في البقرة ؟

لا يمكن توجيه الآيتين إلا بالنظر في سياق كل منهما، فسياق آية البقرة (إن الذين كفروا سواء عليهم) وهي جملة أي(سواء) –خبر عن اسم إن– والكلام مستأنف يتميز به حال الكفرة ولم يعطف على سابقه عطف القصة على القصة؛ لأن المقصود من ذلك بيان اتصاف الكتاب بغاية الكمال في الهداية تقريرا لكونه يقينا لا مجال للشك فيه، وأما هذه الآية ففيها بيان تصاف

(١) السامرائي ، الدكتور فاضل صالح ، **لمسات بيانية**، ص٦٩١– ٦٩٢.

الكفار بالإصرار على الكفر والضلال بحيث لا يجدي فيهم الإنذار فبين هذه الآية وما سبقها تباين في الغرض والأسلوب، وهما على حد لا مجال فيه للعاطف[١].

فلما ذكر في البقرة صفة الكتاب وصفة المتقين، ذكر صفة الذين ضدهم وهم الكفار، وافتتح قصتهم بحرف التأكيد ليدل على استئناف الكلام فيهم، ولذلك لم يعطفها على سابقتها.

الموضع الرابع: التشابه في قوله تعالى: (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) البقرة) وقوله: (وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) (٢٣) الجاثية). **والمتشابه فيها هو تشابه بالتقديم والتأخير.**

فما سر تقديم القلوب على السمع في البقرة، وتقديم السمع على القلب في الجاثية؟

وتوجيهه ذلك: لأنه في البقرة ذكر القلوب المريضة فقال (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا (١٠) فقدم القلوب لذلك، أي هناك ربط بالسياق أي بما قبلها، فلما ذكر قبلها القلوب ناسب ذكر القلوب بعدها، وفي الجاثية ذكر الأسماع المعطلة فقال (وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)(٨) الجاثية، فقدم السمع. فوضع كل لفظة في المكان الذي يناسبها.

ثم إن آية البقرة ذكرت صنفين من أصناف الكافرين من هم أشد ضلالاً وكفراً ممن ذكرتهم آية الجاثية فقد جاء فيها قوله تعالى (خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧) البقرة) وجاء في الجاثية قوله (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف، مصدر سابق**، ج١ص٤٦. والكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، مصدر سابق، ص١٣.

بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)) فقد ذكر في البقرة أن الإنذار وعدمه عليهم سواء، وأنهم ميؤوس من إيمانهم، ولم يقل مثل ذلك في الجاثية.

ثم كرر حرف الجر (على) مع القلوب والأسماع في آية البقرة مما يفيد توكيد الختم فقال (عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ) ولم يقل مثل ذلك في الجاثية بل انتظم الأسماع والقلوب بحرف جر واحد فقال (وختم على سمعه وقلبه)[١].

ثم قال في البقرة (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ) بالجملة الإسمية والجملة الإسمية كما هو معلوم تفيد الدوام والثبات، ومعنى ذلك أن هؤلاء لم يسبق لهم أن أبصروا وإنما هذا شأنهم وخلقتهم فلا أمل في إبصارهم في يوم من الأيام. في حين قال في الجاثية (وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً) بالجملة الفعلية التي تفيد الحدوث ومعلوم أن (جعل) فعل ماض ومعنى ذلك أن الغشاوة لم تكن قبل الجعل يدلك على ذلك قوله تعالى (وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ) مما يدل على أنه كان مبصراً قبل ترديه. ثم ختم آية البقرة بقوله (وله عذاب عظيم) ولم يقل مثل ذلك في آية الجاثية، فدل على أن صفات الكفر في البقرة أشد تمكناً فيهم، ولذا قدم ختم القلب على ما سواه لأنه هو الأهم فإن القلب هو محل الهدى والضلال وإذا ختم عليه فلا ينفع سمع ولا بصر قال تعالى: (فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٦) الحج)، فكان تقديم القلب في البقرة أولى وأنسب كما أن تقديم السمع في الجاثية أنسب[٢].

الموضع الخامس: التشابه في قوله تعالى: (يخادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (٩) " وقال بعد : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ) (١٢).

(١) ينظر: السامرائي، فاضل صالح، **التعبير القرآني**، دار عمار، ط٩، ٢٠١٠م، ص٦٥.

(٢) السامرائي ، فاضل صالح، **التعبير القرآني، مصدر سابق**، ص٦٦.

ثم قال بعد : (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)(١٣) فنفى عنهم هنا العلم، وفى الآيتين قبلها الشعور، **والتشابه هنا هو: إبدال كلمة بكلمة أخرى، فما هو الفرق الموجب لهذا التخصيص؟.**

وتوجيه ذلك: إنما قال في آخر هذه الآية (لا يعلمون) وفيما قبلها (لا يشعرون) لوجهين: **الأول:** أن الوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل أمر عقلي نظري، وأما أن النفاق وما فيه من البغي يقضى إلى الفساد في الأرض فضروري جار مجرى المحسوس.

والثاني: أنه لما ذكر السفه وهو جهل كان ذكر العلم أحسن طباقا له والله أعلم. وما ذكرته أجرى مع لفظ الآي وأبين(١).

الموضع السادس: التشابه في قوله تعالى: (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) (البقرة:١٨) وورد فيما بعد في نفس السورة : (وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)١٧١، ففي الأولى "لا يرجعون " وفى الثانية "لا يعقلون " مع اتحاد الأوصاف الواردة مورد التسبب والعلة فيما نسب لهم. ونوع التشابه هنا هو إبدال كلمة مكان كلمة، **فما هو السر في استعمال كلمة (لا يرجعون) في موضع، وكلمة(لا يعقلون) في الموضع الآخر من البقرة ؟**

وجاء في سورة الأنعام(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٣٩) **ونوع التشابه: الذكر والحذف، قال في البقرة** (صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ) ، **وفي الأنعام**(صُمٌّ وَبُكْمٌ) **فحذف منها(عمي)، وذكره في البقرة. ومن التشابه**

(١) ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل** ، مصدر سابق، ج١، ص٢٧.

ايضا والاختلاف: هو ذكر حرف العطف بين الصم والبكم في الأنعام، وتركها في البقرة، فما السر في ذلك ؟

الجواب عن التســاؤل الأول: لبيان سبب مجيء فاصلة البقرة (آيــة:١٨) (لا يرجعــون) وفاصلة آيتها الأخرى (لا يعقلون) (آية: ١٧١)، لابد من الرجوع إلى سياق الآيتين لنعــرف السر في ذلك، أما الآية الأولى فتتحدث عن المنافقين فبعد أن ذكر سبحانه عددا من أوصافهم، ضرب لهم المثل(مثلهم كمثل الذي استوقد نارا...صم بكم عمي فهم لا يرجعون)(١٧-١٨). فاستخدام (لا يرجعون) مع المنافقين أنسب لحالهم؛ لأن معنى الرجوع العود الى ما كان فــي البدء، والمنافقون أعلنوا إسلامه وأظهروه، ثم أبطنوا الكفر، فتلبسه بالإسلام من حيث الأعمال الظاهرة، لكنهم فارقوه بقلوبهم فصاروا صما عن سماع الخير، بكما عن النطق به، عميا عن رؤية الحق، فوصفهم ربهم العليم بأنهم لا يرجعون إلى الهدى الذي تركوه عن عمــد، وبعــد معرفة، فقوله(لا يرجعون) لا تناسب الآية التي تتحدث عن الكافرين؛ لأنهم لم يدخلوا الإسلام حتى يخرجوا منه.

أما الآية الثانية فموضوعها الحديث عن الكافرين قال: ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً صم ببكم عمي فهم لا يعقلون)١٧١، **فمناســبة قولــه تعــالى(لا يعقلون) لسياقها من وجوه:** منها ان الكافرين لم يكونوا من أهل البصيرة والإيمان. ومنهــا: أنه شبه الكافرين في أولها بالبهائم التي لا عقل لها، فوجه الشبه بين الكفار وبــين الأنعــام أن الأنعام لا عقل لها، والكافرين وإن كانت لهم عقول لكنهم لما عطلوها ولم يستفيدوا منها كــان حالهم كحال من فقدها(١).

(١) ينظر: الصايل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، مصدر سابق، **ص** ١١١- ١١٢.

أما سبب زيادة (عمي) في البقرة على آية الأنعام، فإنه لما ذكر ما كان من القوم من التكذيب والمخادعة والإفساد والسفه والاستهزاء والضلال زاد فيها كلمة "عمي" ليناسب ما عنهم من صفات سيئة، أي فلما جمعوا في البقرة كل هذه الصفات جمع لهم الصم والبكم والعمي، وأنه تركهم في ظلمات لا يبصرون بخلاف آية الأنعام. ومن ناحية أخرى إنه قال في الأنعام(صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ)، ولم يقل إنهم عمي بينما ذكر في البقرة أنهم عمي، وهذا اشد من وصفهم أنهم في الظلمات ذلك لأن الذي في الظلام إذا خرج منه فإنه قد يبصر، أما الأعمى فهو لا يبصر على كل حال سواء كان في ظلام أم في ضياء، هذا مع أنه ذكر في البقرة قبلها أنه تركهم في ظلمات لا يبصرون.

والسؤال هنا ما سرُّ مجيء الواو بين (صم وبكم) في الأنعام دون البقرة في الموضعين، فما الفرق بين (صم بكم) و(صم وبكم)؟

يقول الدكتور السامرائي: إن قولنا(هؤلاء صم وبكم) بالواو يحتمل معنيين: أحدهما : أن يكون بعضهم صم وبعضهم بكم. والثاني: يحتمل أنهم صنف واحد جمع الصَّمم والبكم. ، أما (صم بكم) بلا واو فلا تحتمل إلا معنى واحداً وهو أنهم جمعوا الوصفين فهم صم بكم فهم صنف واحد .[١]

ومن المتشابه أيضا التقديم والتأخير ففي آيتي البقرة قال تعالى (صم بكم عمي)، بينما قال في الإسراء(وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) ٩٧ .

الملاحظ أن آية الإسراء قلبت الحال الذي عليه أهل آية البقرة فالترتيب(صم بكم عمي) بينما آية الإسراء(عميا وبكما وصما) **فما سر هذا التقديم والتأخير؟**

(١) ينظر: السامرائي، **لمسات بيانية**، مصدر سابق، ص٦١٨.

يقول الدكتور فضل رحمه الله: تقديم الصم في البقرة في غاية الاحكام، لأن بداية ضـــلال أولئك الأقوام، حينما أصاخوا بسمعهم عن آيات الله التي تتلى عليهم.

بينما السياق مختلف تماما في الإسراء، وكذا المشهد ، فهو مشهد أولئك الذين ضلوا عـــن السبيل وحالهم يوم القيامة، فلما تغيرت الصورة ، تغير نسق القول، ذلك لأن السماع لم ينفـــع أولئك الناس يوم القيامة شيئا ولا يعود عليهم بخير، ثم إن العمى مـــن أشـــد الأمـــور مشـــقة وأكثرها صعوبة عليهم في ذلك اليوم، إذن فآية الإسراء تحكي حال الكفار يوم القيامة ،وهـــي تحمل على حقيقتها، فهم يفقدون حواسهم الثلاث، أما آيتا البقرة فالمقصود منها التشـــبيه؛ لأن الكافرين والمنافقين لم يكونوا كذلك بل كانوا يمتلكون الحواس، لكنهم لما لم يستفيدوا منها فيما يعود عليهم بالخير صاروا كمن لا حواس لهم.(١)

الموضع السابع: التشابه في قوله تعالى: (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَـــأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة: ٢٣) وقال تعالى فـــي يونس:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِـــنْ دُونِ اللَّـــهِ إِنْ كُنْـــتُمْ صَادِقِينَ) (٣٨)، وقال في هود:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُـــوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) (١٣)وقال في الطور(أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَـــهُ بَـــلْ لَـــا يُؤْمِنُونَ (٣٣) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٤).**وفيها من المتشابه والمختلف مـــا يأتي:**

١. المتشابه بالذكر والحذف: حيث ذكر حرف الجر(من) في البقرة: "من مثله " وحـــذفها مـــن يونس: "مثله " فما السر في ذلك؟

(١) ينظر: فضل حسن عباس، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس–عمان–، ط٧، ٢٠٠٩م، ص٢١٠.

٢. المتشابه بالإبدال: وفيه إبدال جملة بجملة أخرى، قال في البقرة: (وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ) وفي يونس وهود قال: (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ) ن فما وجه ذلك ؟

٣. ومن الإبدال أيضا: إبدال كلمة مكان أخرى، كما في تغيير طريقة التحدي مرة بسورة، مرة بعشر، ومرة بحديث؟ فما السر في هذا التبديل للكلمات.

٤. ومن المتشابه أيضا: زيادة كلمة (مفتريات) دون غيرها من الآيات ؟ فهذه أربع تساؤلات:

فالجواب عن السؤال الأول: يذهب ابن الزبير في توجيه زيادة(من) في البقرة وحذفها من يونس، إلى أن (من) تبعيضية، والهاء في (مثلهـ) تعود على الرسول فيكون المعنى: إن شككتم في نبوته وتخصيصنا إياه بذلك فلتأتوا برجل منكم غيره يصدر عنه أو يأتي بسورة واحدة من نمط ما سمعتم من محمد ﷺ[١]. وهذا القول أي بأن من تبعيضية هو قول الكرماني(٥٠٥هـ) إلا أنه جعل الهاء تعود على القرآن، وبين سبب وجود (من) بقوله:(ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره، بينما لو دخلت(من) على الآيات الأخرى لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض)[٢] .

وأما الوارد في سورة يونس فإنما أريد به ما يجرى مع قوله تعالى: "أم يقولون افتراه " فالمعنى: إذا كان مفترى كما تزعمون فما المانع لكم عن معارضته فأتوا بسورة مماثلة للقرآن، فالمراد هنا نفى كلام مماثل للقرآن وإقامة الحجة عليهم بعجزهم عن ذلك، فاختلف المقصدان في السورتين مع الائتلاف في تعجيزهم عن هذا وهذا فلما اختلفا لم يكن بد من "من " في الأولى لإحراز معناها ولم يأت في يونس لحصول المعنى المقصود فيها دون(من)، وإن كان وجود (من) في يونس لا يمنع حصول المقصود، لزم مراعاة الإيجاز وهو مقتض

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٣٠.

(٢) الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن الكريم**، مصدر سابق، ص١٥.

سقوطها، أما المعنى المقصود في البقرة فلا يحصل الا بمن فلم يكن بد منها هنا، فورد ذلك كله على ما يستحسن ويناسب(١).

ورجح الشيخ الدكتور صلاح الخالدي: -رحمه الله- أن تكون (من) بيانية، أي فأتوا بسورة من مثل بيانه وبلاغته وفصاحته، وأسلوبه، في سموه ورفعته، لا من حيث المضمون، وان الهاء في (مثلهـ) تعود على القرآن، أما عن إضافة (من) في آية البقرة دون يونس؛ فلمزيد من التوكيد، ولأن البقرة أطول سورة في القرآن فناسب زيادة (من) فيها لتطول الآية(٢)، وهذا التوجيه هو الذي تطمئن إليه النفس، والذي نعتقده الصواب والله اعلم.

والجواب عن السؤال الثاني: وهو قوله تعالى فى سورة هود: "بعشر سور " فإنه والله أعلم لما قيل: (مفتريات) فوسع عليهم ناسبة التوسعة في العدد المطلوب لأن الكلام المفترى أسهل فناسبته التوسعة. أي إإتوا بعشر سور مكذوبة، لكن بنفس المستوى من البيان والفصاحة والصناعة، دون المضمون.

أما الوارد فى السورتين قبل فلم يذكر لهم فيها أن يكون مفترى بل السابق من الآيتين الممثالة مطلقا فذلك أصعب وأشق عليهم مع عجزهم في كل حال، فوقع الطلب حيث التضييق بسورة واحدة وحيث التوسعة بعشر سور مناسبة جليلة واضحة.

والجواب عن الثالث: وهو إبدال كلمة مكان أخرى، كما في تغيير طريقة التحدي مرة بسورة، مرة بعشر، ومرة بحديث؟ فما السر في هذا التبديل للكلمات؟.

قبل الجواب نسأل هنا هل يمكن أن نضيف كلمة " مفتراة " في آية سورة البقرة فيقول مثلاً: "فأتوا بسورة من مثله مفتراة " ؟ في آية سورة البقرة (وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل، ج١، ص٣٠. وبمثله قال ابن جماعة (**ت ٧٣٣ هـ**)، ينظر: **كشف المعاني في التشابه من المثاني** ، ص٩١.

(٢) صلاح الخالدي، **إعجاز القرآن** ، مصدر سابق، ص٥٩- ٦٠.

عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)) كما قال في (مفتريات) في سورة يونس؟

يقول السامرائي حفظه الله: إن هذا التعبير لا يصح من جهتين: **أولاً:** هم لم يقولوا "افتراه" كما قالوا في سورة يونس وهود. والأمر الآخر وهو المهم: أنه لا يُحسن أن يأتي بعد "من مثله" بكلمة " مفتراة " لأنه عندما قال "من مثله" افترض وجود مثيل له فإذن هو ليس مفترى ولا يكون مفترى إذا كان له مثيل، إذن تنتفي صفة الافتراء مع افتراض وجود مثل له[١].

والأمر الآخر: لا يصح كذلك أن يقول في سورتي يونس وهود مع الآية (أم يقولون افتراه) أن يأتي بـ "فاتوا بسورة من مثله" بإضافة (من) وإنما الأصح كما جاء في الآية أن تأتي كما هي باستخدام "مثله" بدون "من" (فأتوا بسورة مثله) لأن استخدام "من مثله" تفترض أن له مثل، إذن هو ليس بمفترى ولا يصح بعد قوله تعالى: (أم يقولون افتراه) أن يقول (فأتوا بسورة من مثله) لنفس السبب الذي ذكرناه سابقاً. إذن لا يمكن استبدال أحدهما بالأخرى أي لا يمكن قول (مثله) في البقرة كما لا يمكن قول (من مثله) في سورتي يونس وهود[٢].

والجواب عن الرابع: في سورة البقرة قال: (وادعوا شهدائكم) وأما في يونس وهود: (وادعوا من استطعتم) فما سر هذا الاختلاف؟

---

(١) السامرائي، **لمسات بيانية**، مصدر سابق ، ص٦٨١.

(٢)السامرائي، **لمسات بيانية**، مصدر سابق، ص٦٨١.

إن معنى قوله(وادعوا شهدائكم)، أي يشهدون لكم إن أتيتم بمثل القرآن، ويشهدون عليكم إن عجزتم عن الإتيان بمثله، ولما كان العلم بعجزهم حاصل، كأن دعوتهم للإتيان بالشهداء لفضحهم على الملأ والله أعلم

وقيل لهم في سورة يونس فأتوا بسورة مثل القرآن واستعينوا على ذلك بمن قدرتم فلم يطلبوا هنا بمن يشهد لهم أو عليهم وإنما قيل لهم: استعينوا في النظم والتأليف بمن قدرتم لأن سماع ذلك منهم أن لو كان، ولا سبيل إليه لا يحتاج معه إلى شهادة شاهد، أما لو ادعوا أنهم قادرين على أن يأتوا بمثله وقد ادعوا، قيل لهم من يشهد لكم بذلك ،ألا ترى استرواحهم إلى إقناع جهلتهم بما حكى سبحانه وتعالى عنهم بقوله: (لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا)الأنفال:٣١، والوارد في هود كالوارد في يونس[١].

وهنا لفتة وهي أنه في الآيات الثلاث قبل أن يتحداهم يعرض شبهتهم، ففي البقرة (إن كنتم في ريب) أي شك وارتياب، وفي يونس وهود والطور(أم يقولون افتراه) الكذب، ثم ننظر الى نهاية الآيات الأربع لنجدها كلها تنتهي بنفس الفاصلة (إن كنتم صادقين)، إلا في الطور(إن كانوا صادقين) والسبب في ذلك اختلاف الأسلوب ففي الطور أسلوب الغائب بينما في أخواتها خطاب الحاضر، وفي ختم آيات التحدي بهذا الأسلوب فيه دلالة على أنهم كانوا عارفين أن القرآن أعلى من مستواهم، وفيها مبالغة في الاستفزاز والتحدي، وهذا نوع من الحرب النفسية[٢].

الموضع الثامن: التشابه بين قوله تعالى: (وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ)البقرة ٣٥، وبين ما جاء سورة

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل، ج١**، ص٢٩ ، بتصرف كبير.
(٢) عن محاضرة للدكتور صلاح الخالدي في مادة دراسات في إعجاز القرآن .

الأعراف :(وَ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّـجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ (٣٥) .

ومما ورد من المتشابه اللفظي هنا: إبدال حرف النسق(الواو) في البقرة (وكلا) بحرف (الفاء) في الأعراف(فكلا)، وورد أيضا من المتشابه: زيادة كلمة(رغداً) في البقرة، وحـذفها من الأعراف، **وفى هذا سؤالان:**

الأول: ورود أمرهما بالأكل في البقرة بواو النسق المقتضية عدم الترتيب ما لم يفهم مـن غيرها، وفى الأعراف: بالفاء المقتضية الترتيب والتعقيب والأمر واحد والقصة واحدة، وقـال في البقرة (حيث شئتما) وقال في الأعراف (من حيث شئتما)؟.

والثـاني: وصف الأكل في البقرة بالرغد ولم يقع هذا الوصف في الأعراف مـع اتحـاد الأمر كما ذكرنا؟.

فعن الأول: يمكن أن يقال بأن المقصود بقوله في البقرة (اسكن): الإقامة وذلك يسـتدعي زمانا ممتدا فلم يصلح إلا بالواو لأن المعنى اجمع بين الإقامة فيها والأكل من ثمارها ولو كان الفاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة لأن الفاء للتعقيب والترتيب والذي في الأعراف من السكنى الذي معناها اتخاذ الموضع مسكنا لأن الله تعالى أخرج إبلـيس مـن الجنة بقوله(اخرج منها مذموما) وخاطب آدم فقال(يا آدم اسكن أنت وزوجـك الجنـة) أي اتخذاها لأنفسكما مسكنا (فكلا من حيث شئتما) فكانت الفـاء أولـى لأن اتخـاذ المسـكن لا يستدعي زمانا ممتدا ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ والأكل فيه بل يقع الأكل عقيبه[١].

(١) ينظر، الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه اللفظ في القرآن** ، مصدر سابق ص١٩.

ويقول الدكتور فاضل السامرائي: أن الواو في (وكُلا منها رغداً) في سورة البقرة تدل على مطلق الجمع وتفيد أن لآدم – عليه السلام – حق الإختيار في كل الأزمنة بمعنى "اسكن وكُل" غير محددة بزمان(١).

أما في سورة الأعراف فاستخدام الفاء في قوله (فكُلا من حيث شئتما) تدل على التعقيب والترتيب، بمعنى "اسكن فكُل" أي أن الأكل يأتي مباشرة بعد السكن مباشرة، فالفاء إذن هي جزء من زمن الواو، أما الواو فتشمل زمن الفاء وغيرها والجمع وغير الجمع فهي إذن أعمّ وأشمل ومجيئها في سورة البقرة في مجال التكريم أيضاً فلم يقيّد الله تعالى آدم بزمن للأكل.

وقوله: (حيث شئتما) في سورة البقرة تحتمل أن تكون للسكن والأكل؛ بمعنى: اسكنا حيث شئتما وكُلا حيث شئتما؛ وفي هذا تكريم أوسع؛ لأن الله تعالى جعل لهم مجال اختيار السكن، والأكل والتناسب مع الواو التي دلّت هي مطلقة فأوجبت السعة في الاختيار، وهذا يناسب أيضا إسناد القول إلى نفسه عز وجل بقوله (وقلنا) من باب التكريم.

أما في سورة الأعراف (من حيث شئتما) فبمعنى: من حيث شئتما للأكل فقط وليس للسكن، وبما أن الفاء استخدمت في السورة (فكُلا) والفاء مقتصرة اقتضى الحصر للأكل فقط(٢).

أما عن سبب زيادة (رغدا) في البقرة دون الأعراف؟

فينظر إلى سياق آية البقرة كان في الحديث عما منّ الله به على آدم وفضله، فورود كلمة الرغد في هذا السياق يضيف إلى فضل آدم تميزا، فتكون هذه نعمة أخرى تضاف إلى تلك

(١) السامرائي، **لمسات بيانية** ، مصدر سابق، ص٦٣٢– ٦٣٣.

(٢) ينظر: السامرائي، **لمسات بيانية** ، مصدر سابق، ص٦٣٣– ٦٣٤.

النعم، وأنه لما جاء لفظ(قلنا) في بداية آية البقرة، والقول فيه مسند الى الله تعالى ناسب ذلك مجيء كلمة رغد؛ لزيادة التوسعة والإكرام. في حين خلت آية الأعراف منها لأن المقام يعرض المحاورة بين الله تعالى وبين إبليس اللعين(١).

الموضع التاسع: التشابه بين قوله تعالى : (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ){البقرة: ٣٨}

وفى الأعراف قال تعالى: (قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ) (٢٤)، وفى سورة طه قال تعالى: (قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى) (١٢٣).

يلاحظ أن الآيات الثلاث موضوعها واحد وهو قصة آدم عليه السلام، وأمر الله له بالهبوط من الجنة، **والتشابه بين الآيات متفاوت، ومن مواطن التشابه والاختلاف: تشابه من حيث الجمع والإفراد، ففي البقرة قال: (قلنا) وفي الأعراف وطه قال: (قال). وكذا الاختلاف في صيغة الأمر بالهبوط، ففي آيتي البقرة والأعراف جاء بصيغة (اهبطوا) مسند إلى واو الجماعة، وفي آية طه جاء بصيغة (اهبطا) مسنداً إلى ألف الاثنين، فما السر في ذلك؟**

ومن التشابه أيضا: اختلاف صيغة الفعل الماضي حيث ورد في آية البقرة قوله تعالى: (فمن تبع هداي) ثلاثي مجرد، وفي آية طه قوله تعالى: (فَمَن اتَّبَعَ هُدايَ)، ثلاثي مزيد، فما الحكمة في ذلك؟

أولاً: إن مجيء القول في البقرة مسندا إلى الله (قلنا) مناسب لسياق الآيات قبلها، حيث ابتدأ بإسناد القول إلى الله كما في الآية الرابعة والثلاثون، والخامسة والثلاثون، والسادسة والثلاثون، فالقصة واحدة، والموضع واحد.

(١) ينظر: الصايل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، مصدر سابق، ص١٥١.

بينما في الأعراف جاء الفعل بإسناد الضمير المستتر العائد إلى الله بقوله (قال)، وهذا مناسب أيضا لما قبله من الآيات، فالآيات الثاني عشر والخامسة عشر والثامنة عشر كلها جاءت بلفظ (قال) فاللفظ فيها جاء مناسباً لسياق الآيات.

وأما سورة طه فقد سبقت بضمائر ثلاثة كلها تعود إلى الله قال تعالى(فعصى آدم ربه فغوى* ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)(١٢٢)، ففيها ثلاث أفعال مسندة إلى لفظ الجلالة (ربه) والى ضميره، فناسب مجيء (قال) للسياق.

أما عن اختلاف صيغة الأمر بالهبوط، حيث جاءت في البقرة والأعراف بصيغة الجمع(اهبطوا) وفي سورة طه بصيغة التثنية(اهبطا). **فتوجيهه:** أن التعبير بصيغة فعل الأمر(اهبطوا) دل على أن المأمورين جماعة فمن هم هؤلاء الجماعة، يرى الزمخشري بان الراجح أن المقصود آدم وحواء وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما[١]. وقيل بأن الأمر لآدم وزوجه وإبليس، لأن مدار القصة عليهم. وأما ما ورد من التثنية في طه فالمراد به إما آدم وحواء، أو آدم وإبليس، لأنهما اصل الذرية، وحواء تدخل تبعا مع آدم[٢] .

وأما عن سر التعبير بالفعل الماضي (تبع) في البقرة، وفي صيغة الفعل الماضي المزيد، فللعلماء في ذلك أقوال منها: أن الفعلان معناهما واحد[٣]، **وهذا القول مرجوح بما سيتبين بعد قليل**، وقيل: بل يختلفان وهو الصحيح؛ لأن الفعل تبع ثلاثي وهو الأصل، واتبع مزيد وهو الفرع. والقاعدة تقول : الزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى، حتى وإن كانت دلالتهما مشتركة تدل على الإتباع، إلا أن تبِع: على وزن فعل، فيدل على الإتباع الذي لا تكلف فيه ولا مشقة .

---

(١) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق، ج١ص١٢٨.

(٢) ينظر: الصايل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، مصدر سابق، ص١٦٢.

(٣) ينظر: الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن الكريم**، مصدر سابق، ص١٧.

وأما (اتَّبع) فإن هذه البنية أعنى بنية افتعل تنبئ عن تعمل وتحميل للنفس فقدم ما لا تعمل فيه وأخر اتبع لما يقتضيه من الزيادة ولم تكن إحدى العبارتين لتعطى المجموع فقدم ما هو أصل وأخر ما هو فرع عن الأول وكلاهما هدى ورحمة وورد كل على ما يناسب ويلائم(١).

وقيل بأن الاختلاف في طريقة عرض القصة هو السبب في اختلاف صيغة الفعل، فلما عرضت القصة في البقرة لم يرد فيها ذكر إغواء الشيطان إلا مجملاً، فناسب مجيء الفعل (تَبع)، وأما في طه فجاء ذكر الشيطان وطرق إغوائه، فلما زاد ذلك تطلب زيادة الصيغة في الفعل ليناسب المقام (٢).

الموضع العاشر: التشابه بين قوله تعالى: (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) (البقرة: ٤٨)، ووقع في نفسها بعد: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ) (١٢٣). وهو تشابه بالتقديم والتأخير

والسؤال هنا: لم قدم ذكر الشفاعة في الآية الأولى، وأخرها في الآية الثانية؟ وهذا ما يسمى: متشابه بتقديم كلمة على كلمة.

توجيه العلماء: لقد تحدث العلماء قديماً وحديثاً في بيان سرّ التقديم والتأخير الحاصل في هاتين الآيتين، وقبل ذكر توجيهاتهم نذكر بأنّ هاتين الآيتين موضوعهما واحد، والخطاب فيهما موجه إلى بني إسرائيل، وهذا واضح من سياق الآيات التي قبلهما، وتضمنت الآيتين الأمر بالاستعداد ليوم الدين؛ لأنه اليوم الذي لا تنفع فيه شفاعة ولا فدية، أما توجيه العلماء وبيانهم لسرّ التقديم والتأخير فيهما فهو كما يأتي:

---

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٣٥.

(٢) ينظر: الصايل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم**، مصدر سابق ص١٦٦.

لقد وقف العلماء قديماً على هاتين الآيتين محاولين استخراج أسرارهما، وتحدثوا عن تفاصيل كثيرة تحيط بهما، وكلٌّ قد أدلى بدلوه خدمة لكتاب الله تعالى، والذي يهمنا في هذا الأمر هو: سر تقديم الشفاعة في قوله تعالى: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ) البقرة:٤٨، وتأخيرها في قوله تعالى: (وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ) البقرة:١٢٣.

والمطَّلِع على كتب المتشابه اللفظي يجد أن كل من صنف في المتشابه كان له بصمة في توجيه التقديم والتأخير الحاصل في الآيتين، فمنهم من رمى بسهامه بعيدا عن هدفه فلم يصب مطلوبه، كالإسكافي–رحمه الله[١]، ومنهم من جاء توجيهه وجيزاً دقيقاً كالإمام الكرماني – رحمه الله– حيث يقول: قدم الشفاعة في هذه الآية وأخر العدل، وقدم العدل في الآية الأخرى من هذه السورة وأخّر الشفاعة، وإنما قدم الشفاعة قطعاً لطمع من زعم أن آباءهم تشفع لهم، وأن الأصنام شفعاؤهم عند الله، وأخر في الآية الأخرى؛ لأن التقدير في الآيتين معاً: لا يقبل منها شفاعة فتنفعها تلك الشفاعة، لأن النفع بعد القبول، وقدم العدل في الآية الأخرى ليكون لفظ القبول مقدماً فيها[٢].

ولمثله ذهب الزركشي ونسب القول إلى أحد شيوخه، فذكر أن المراد بتقديم الشفاعة قطع رجائهم رداً لما ذكره بنو إسرائيل من أنهم أبناء الأنبياء، وسيشفعون لهم يوم القيامة، ففي الأولى نفى عنهم نفع الغير بكل وجه من وجوه النفع، وفي الثانية نفى عنهم نفع أنفسهم مقدما الفداء الذي يدفعه المجرم عن نفسه، وأخّر الشفاعة؛ لأنها تكون من غيرهم[٣].

أما ابن الزبير الغرناطي فقد أعمل السياق في توجيهه، فذكر أنه لما قدّم قوله: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ) البقرة:٤٤، فكانوا يتوهمون بأن ما صنعوه من أمرهم بالبر شفيع

(١) ينظر: الإسكافي، **درة التنزيل وغرة التأويل**، مصدر سابق، ص٨.
(٢) ينظر: الكرماني، **البرهان في توجيه متشابه القرآن**، مصدر سابق، ص٧١– ٧٢.
(٣) ينظر: الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، مصدر سابق، ج١، ص:٩٥.

لهم، فقدم الشفاعة لنفي المعنى المتبادر إلى أذهانهم، بخلاف الثانية فلم يتقدمها ما يستدعي ذلك، فقدّم فيها ذكر الفئة التي هي أولى وأحرى لحال التخلص على ما عهد في الدنيا لو أمكنت(١).

وبقي أمران، أحدهما: ما سر إيثار تقديم لفظ القبول على النفع والأخذ في الآيتين؟

والجواب على ذلك: هو لأن القبول أصل إن حصل كان البحث بعدئذ في نفعه أو عدمه، فالنفع والأخذ مترتبان على القبول، فإذا نفي فكأنه نفيٌ للشيء عن طريقين: انتفاء أصل القبول، وانتفاء ما يترتب عليه من النفع والأخذ.

ثانيهما: إيثار التعبير بالأخذ للعدل والنفع للشهادة؟

والجواب: هو أن مجرد أخذ العدل (الفدية) إيذان بتحقق نفعه، وليست الشفاعة كذلك، فلربما بذلت الشفاعة ولكنها لا تنفع، فمع الشفاعة نفي المهم فيها وهو قبولها(٢).

ولقد عدّ الآلوسي رحمه الله (ت ١٢٧٠هـ) هذا التقديم والتأخير الحاصل في الآيتين من قبيل الترقي والذي هو نوع من أنواع البديع، فقال: (وكأنّ في الآية على هذا نوعاً من الترقي ارتكب هنا وإن لم يرتكب في مقام آخر كأنه قيل: إن النفس الأولى لا تقدر على استخلاص صاحبتها من قضاء الواجبات وتدارك التبعات لأنها مشغولة عنها بشأنها، ثم إن قدرت على نفي ما كان بشفاعة لا يقبل منها، وإن زادت عليه بأن ضمت الفداء فلا يؤخذ منها، وإن حاولت الخلاص بالقهر والغلبة – وأنى لها ذلك – فلا تتمكن منه)(٣).

---

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٣٢.

(٢) ينظر: الصايل، **من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم** ، مصدر سابق، ص١٩٣.

(٣) الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ــ بيروت، (١٤١٥ هـ)ج١ص٢٥٣.

هذا وقد اتفقت الآيتان في صيغة الفاصلة إذ جاءت فيهما: (ولا هم ينصرون) والصيغة التي يأتي فيها المسند إليه متقدما مسبوقاً بنفي، والمسند فعلي مشتمل على ضمير يعود على المسند عليه تفيد الاختصاص، أي أن الشفاعة المنفية مختصة بالكفار، وأنها قد تنال غيرهم كالعصاة غير الكفار، وفيها رد على من زعم أن العصاة إن ماتوا من غير توبة فهم مخلدون في النار، وفيها إيماء إلى أن غيرهم ينصر(١).

ومجيء االفاصلة القرآنية للايتين جملة إسمية مع أن الجمل قبلها كلها فعلية فهو للمبالغة والدلالة على الديمومة والثبات، أي أن الكفار(اليهود) غير منصورين دائما، ولا عبرة بما يصادفونه من نجاح ونصر فهو مؤقت(٢).

ومما جاء من المتشابه في التقديم والتأخير هو تقديم جملة على جملة، ففي سورة البقرة قدم الدخول على القول فقال: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ)(٥٨) وعكسه في الأعراف فقدم الحطة على الدخول فقال تعالى: (وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا)(١٦١) .

ووجهها ابن الزبير بقوله: (فوجه ذلك والله أعلم أن قولهم: حطة دعاء أمروا به في سجودهم فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتملات الواو في عدم الرتبة فقدم وأخر في السورتين ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول ان يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده، وتعين بهذا معنى المعيه من محتملات الواو وتحرر المقصود وان المراد: وادخلوا الباب سجدا قائلين في سجودكم حطة فاكتفى بتقلب الورود عن الافصاح بمعنى المعيه ايجازا جليلا وبلاغة عظيمة، وقدم في البقرة الأمر بالسجود لأن ابتداء السجود

---

(١) ينظر: الصايل ، **من بلاغة المتشابه اللفظي، مصدر سابق** ص٢٠٣.

(٢) ينظر: الدرويش، محي الدين، **إعراب القرآن الكريم وبيانه**، دار ابن كثير–دمشق، ودار اليمامة، بيروت، (ط/٩ ، ٢٠٠٣م)ج١ص:١٠١.

يتقدم ابتداء الدعاء ثم يتساوق المطلوبان فجاء ذلك على الترتيب الثابت في السور والآي والله أعلم)[١].

الموضع الحادي عشر: التشابه والاختلاف بين قوله تعالى:(وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَـوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوَءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُـمْ عَظِـيمٌ) (٤٩)، وبين سورة الأعراف في قوله تعالى: (وَإِذْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَونَ يَسُـومُونَكُمْ سُـوَءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) (١٤١)، وبين قولـه تعالى:(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) (إبراهيم: ٦).

أما نوع التشابه فيهن فهو أولاً: تشابه بالصيغة، فقد جاء في البقرة (وإذ نجَّيناكم) بينمـا جاءت في الأعراف (أنجيناكم)، وفي إبراهيم(أنجاكم).

ثانياً: التشابه بإبدال كلمة مكان أخرى، ففي البقرة (يذبحون) وفي الأعراف(يقتِّلون)

ثالثا: الاختلاف بوجود واو العطف في إبراهيم (ويذبحون) وتركها في البقرة والأعراف.

وتوجيه ما ذكر عن المسألة الأولى: إن الوارد في سورة البقرة مقصود به تعداد وجـوه الإنعام على بنى إسرائيل ... فأجمل تعالى ثم فصل فذكر نجاتهم من آل فرعون وفرق البحر بهم ونجاتهم وهلاك عدوهم بالغرق، فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بهـا ليزدجـروا عن المخالفة والعناد ناسبه التضعيف؛ لإثباته بالكثرة ولو قيل: هنا (وإذ أنجيناكم) لما أنبأ بذلك

(١) ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص ٣٧.

ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضا فإن التضعيف في: (نجّيناكم) يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله: (يذبِّحون)[١].

والجواب عن السؤال الثاني: والله أعلم أن الذبح منبئ عن القتل وصفته، وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب فعبر أولاً بما يوفي المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع الصفة لما كان إيجازا، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع إيجاز فقيل: (يذبِّحون)، وعبر في سورة الأعراف بالقتل؛ لأنه أوجز من لفظ (يذبحون) لأجل التضعيف، إذ لفظ (يذبحون) أثقل لتضعيفه، وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة فأحرز الإيجاز في الكل وجاء على ما يجب ويناسب والله أعلم[٢].

يقول الزمخشري: فإن قلت: في سورة البقرة (يُذَبِّحُونَ) وفي الأعراف(يُقَتِّلُونَ) وهاهنا (وَيُذَبِّحُونَ) مع الواو، فما الفرق؟ قلت: الفرق أنّ التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له، وحيث أثبت جعل التذبيح؛ لأنه أوفى على جنس العذاب، وزاد عليه زيادة ظاهرة كأنه جنس آخر[٣].

والجواب عن السؤال الثالث: وهو قوله تعالى في سورة إبراهيم: (ويذبحون أبنائكم ويستحيون نسائكم) منسوقا بواو العطف فوجه ذلك هو ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح، فمجيء الواو لإفادة التغاير في نوع العذاب، أو إن سوء العذاب أعم فكرر الخاص بعده، وهو من كلام موسى عليه السلام[٤].

---

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٢- ٤٣.

(٢) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٢- ٤٣.

(٣) الزمخشري، **الكشاف**، مصدر سابق ج٢ص٥٤٠.

(٤) ينظر: ابن جزي محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي[٦٩٣ ــ ٧٤١ هـ] **التسهيل لعلوم التنزيل**، ج١، ص٦٨٠.

والله أعلم إن هذه السورة مبنية على الإجمال والإيجاز فيما تضمنته من قصص الرسل وغير ذلك، ولم يقصد فيها بسط قصة كما ورد في غيرها مما بنى على الاستيفاء وكلا المرتكبين مقصود معتمد عند العرب(١).

الموضع الثاني عشر: التشابه والاختلاف بين قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٥٩) وفى سورة الأعراف: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ)(١٦٢).

وقد أتى عليها ابن الزبير من جميع وجوهها فذكر في ذلك عشرة سؤالات، بينما ذكر شيخنا الإسكافي ثمان مسائل منها. وبيان تلك المسائل على النحو التالي:

الأول: قوله تعالى في سورة البقرة: "واذ قلنا ادخلوا " وفي الأعراف: "واذ قيل لهم اسكنوا".

الثاني: قوله في البقرة: "فكلوا " وفي الأعراف: "وكلوا ".

الثالث: قوله تعالى في البقرة: "رغدا " ولم يأت ذلك في الأعراف.

الرابع: قوله تعالى: "ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ". وفي الأعراف: "وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ".

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٢– ٤٣.

الخامس: قوله تعالى في البقرة: "يغفر لكم خطاياكم " وفى الأعراف في قراءة الجماعة غير أبى عمرو وابن عامر: خطيئاتكم " مجموعا جمع سلامة.

السادس: قوله في البقرة: "وسنزيد المحسنين " وفى الأعراف: "سنزيد المحسنين ".

السابع: زيادة "منهم" في الأعراف وسقوط ذلك في البقرة.

الثامن: قوله تعالى: "فأنزلنا " وفى الأعراف: "فأرسلنا ".

التاسع: قوله تعالى: "على الذين ظلموا " وفى الأعراف: "عليهم ".

العاشر: "بما كانوا يفسقون " وفى الأعراف: "بما كانوا يظلمون ".

فمما زاده ابن الزبير على شيخه الإسكافي: أنه أدخل الآية رقم (١٦٢) من الأعراف، لذا زاد في مسائله على الإسكافي.

والجواب عن الأول: سياق الآيات في البقرة والكلام هو في التكريم لبني إسرائيل فذكر أموراً كثيرة في مقام التفضيل والتكرّم والتفضّل، ولذلك أسند القول الى نفسه بضمير (نا) الدال على العظمة، ليناسب جوده وكرمه، بينما في الأعراف السياق في ذكر ذنوبهم ومعاصيهم والمقام مقام تقريع وتأنيب لبني إسرائيل، ولذا جاء بصيغة المبني للمجهول، ولم يسم الفاعل لمناسبة السياق، أي سياق ما سبقها من آيات.

ولكي تتبين وجهة اختصاص كل آية بما اختصت به من كلمة دون الأخرى لابد من التفريق بين الأمرين(أدخلوا) في البقرة، (واسكنوا) في الأعراف، ولماذا جاء عطف الأمر بالأكل بالواو في البقرة (وكلا)، وفي الأعراف عطف بالفاء، وهذا قد تقدم بيانه[1]، وفيه الجواب على السؤال الثاني.

(١) ينظر: ص٣٤ من هذا البحث.

والجواب عن الثالث: وهو ورود قوله: "رغدا " في البقرة وسقوط ذلك في الأعراف، والسبب يعود إلى أن مفهوم السكنى هو الملازمة والإقامة، مع الأمر بالأكل حيث شاءوا مع انضمام معنى الامتنان والإنعام المقصود في الآية كل ذلك مشعر ومعرف بتمادي الأكل، إضافة إلى أن قوة السياق مانعه من التحجير والاقتصار، فحصل معنى الرغد فوقع الاكتفاء بهذا المفهوم الحاصل قطعا من سياق آية الأعراف ولو لم يرد في سورة البقرة لم يفهم من سياق الآية كفهمه من سياق آية الأعراف(١).

فمجيء (رغدا) في البقرة ليناسب عظمة المنّان سبحانه، المشار إليها سابقاً، وتتميما للنعمة، وليحصل لهم الهناء في الدخول والأكل، وذكره مع الأعراف غير مناسب.

أما عن سر تقديم قوله تعالى في البقرة (ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة)، وتأخيره في الأعراف بقوله: "وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا) .

يقول ابن الزبير: وجه ذلك والله أعلم أن قولهم: (حطة) دعاء أمروا به في سجودهم، فلو ورد في السورتين على حد سواء لأوهم من حيث مقتضى الواو من الاحتمال أنهم أمروا بالسجود والقول منفصلين غير مساوق أحدهما للآخر على أحد محتملات الواو في عدم الرتبة، فقدم وأخر في السورتين ليحرز المجموع أن المراد بهذا القول أن يكون في حال السجود لا قبله ولا بعده وتعين بهذا معنى المعية من محتملات الواو وتحرر المقصود وان المراد: وادخلوا الباب سجدا قائلين في سجودكم حطة فاكتفى بتقلب الورود عن الإفصاح بمعنى المعية إيجازا جليلا وبلاغة عظيمة وقدم في البقرة الأمر بالسجود لأن ابتداء السجود

(١) ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٥.

يتقدم ابتداء الدعاء ثم يتساوى المطلبان فجاء ذلك على الترتيب الثابت في السور والآي والله أعلم[١]، وتعليل ابن الزبير أراه مناسباً فقد أجاد وأفاد في توضيح المعنى المراد والله أعلم.

أما عن سبب مجيء جمع الكثرة في البقرة بقوله(خطاياكم)، وجمع القلة في الأعراف بقوله(خطيئتكم) ؟

فخير توجيه أن يقال: أن الخطايا في البقرة بناء موضوع للجمع الأكثر، والخطيآت في الأعراف جمع سلامة وهي للأقل، ولذا استعمل لفظ الكثير في الموضع الذي جعل الإخبار فيه عن نفسه–سبحانه– بقوله: (وَإِذْ قُلْنَا ادخلوا)، وشرط لمن قام بهذه الطاعة ما يشرطه الكريم إذا وعد من مغفرة الخطايا كلها، فهو اقتران يليق بجوده وكرمه سبحانه، وأتى باللفظ الموضوع للشمول، فيصير كالتوكيد بالعموم، كما لو قال(نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ) كلها اجمع. ولما لم يسند القول إلى نفسه في الأعراف وإنما قال: (وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هذه القَرْيَة) فلم يسم الفاعل أتى بلفظ الخطيآت وإن كان المراد بها: الكثرة كالمراد: بالخطايا، فأتى بالفاعل لما ذكر ما هو لائق أي بقدرته وفضله، حيث لم يسم الفاعل في الأعراف ووضع اللفظ غير موضعه؛ وذلك للتفريق بين ما يؤتى به على الأصل، وبين ما يعدل به إلى الفرع[٢].

وأما عن سر زيادة الواو في البقرة بقوله: (وسنزيد المحسنين)، دون الأعراف : (سنزيد المحسنين) ؟

فيقال بأن: النظم في البقرة لا زال في سياق تعداد آلاء الله ونعمه على عباده، فناسب ذلك مجيء العطف بالواو ليجري على ما تقدم من تعداد الآلاء وضروب الإنعام بالعفو عن الزلات والامتنان بضروب الإحسان، لهذا القصد من إحراز التعداد ورد: (وسنزيد) هنا بالواو، ولم

(١) ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٥.

(٢) ينظر، الإسكافي، **درة التنزيل**، مصدر سابق، ص١١.

يكن ليحصل ذلك لو لم ترد الواو هنا، وأما آية الأعراف فلم يرد قبلها ما ورد في سورة البقرة؛ لأَنّ اللائِق به {سَنَزِيدُ} بحذف الواو؛ ليكون استئنافاً للكلام(١).

وأما عن سبب زيادة منهم في الأعراف بقوله:(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ)، وسقوطها في البقرة حيث قال:(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا) .

فتوجيهه: أن زيادة (منهم) في الأعراف دون البقرة مراعاة للسياق قبلها، فإن أول القصة في الأعراف مبين على التمييز والتخصيص بدليل وقوع (من) قبلها في قوله تعالى(وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) (١٥٩)، فذكر أن منهم من يفعل ذلك، ثم عدد صنوف إنعامه عليهم، وأوامره إليهم، فلما انتهت قال: (فبدل الذين ظلموا منهم قولاً)، فعاد بآخر القصة تنبيهاً على أولها، ليكون آخر الكلام مساوقا، وعجزه لصدره مطابقاً، ولما كان قوم موسى فريقان فريق ظالم، وآخر مهتد، اقتضت التسوية في المقابلة فذكر (منهم) في الأعراف دون البقرة؛ لأنه لم يتقدمها ما يتقدم سورة الأعراف مما يقتضيها(٢).

بينما يرى ابن الزبير فيقول: إن المتأمل لآية البقرة يجد أنها ليست على عمومها، فزادت آية الأعراف تخصيصاً سمعياً بما يعطيه حرف التبعيض في قوله تعالى: "منهم " وآية الأعراف مخصصه للعموم البادي من آية البقرة، والدليل قوله:(فأنزلنا على الذين ظلموا) ولم يرد فيها فأنزلنا عليهم؛ لأنه لو ورد ذلك لكان يتناول المتقدم ذكرهم على التعميم وليس ذلك مقصودا (٣).

---

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٦- ٤٧، والفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (المتوفى : ٨١٧هـ)، **بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز**، ص٩٧.

(٢) ينظر: الإسكافي، **درة التنزيل**، مصدر سابق، ص١٣- ١٤.

(٣) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٧

وعن سبب مجيء الفعل {فَأَنْزَلْنَا } في البقرة، والفعل {فَأَرْسَلْنَا} في الأعراف، فيعلله الفيروز آبادي بقوله: إن لفظ الرّسول والرسالة كثرت في الأَعراف، فجاءَ ذلك على طِبق ما قبله، وليس كذلك فى سورة البقرة[١]. وأرسلنا في العقوبة أشدّ من أنزلنا، وقد تردد الإرسال في السورة ٣٠ مرة أما في البقرة فتكرر ١٧ مرة[٢] . ويقول ابن جماعة: (عبر بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشد وقعاً من الإنزال، فناسب سياق ذكر النعمة ذلك في البقرة)[٣].

أما عن سر انتهاء فاصلة البقرة بقوله تعالى: (بما كانوا يفسقون)، وفاصلة الاعراف: (بما كانوا يظلون) فوجه ذلك والله أعلم أنه قد ورد في البقرة قبلها وصفهم بالظلم في أكثر من آية، ثم عاد فوصفهم بالفسق ليجمع عليهم الجرمين، وأما في الأعراف فذكرهم أولاً بالظلم في الآية التي معنا، ثم وصفهم بلاحقتها بالفسق فوضح الاتفاق في ختام القصة في السورتين من غير اختلاف فيهما[٤].

الموضع الثالث عشر: التشابه بين قوله تعالى: ({وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} {البقرة:٦١}، وفى آل عمران {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ}(٢١)، وفيها وفى النساءِ {وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ}آل عمران(١١٢) ، **وهو تشابه بالتعريف والتنكير، وبصيغة الجمع.**

من المعلوم أنه لا يقتل نبي إلاّ بغير حق، فما السر في هذا التشابه والاختلاف بالتعريف والتنكير، ولماذا اختلفت صيغة جمع النبي ما بين النبيين في البقرة، والأنبياء في آل عمران والنساء؟

---

(١) الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز**، مصدر سابق، ص ٩٧.

(٢) ينظر: السامرائي، **من أسرار التعبير القرآني**، مصدر سابق، ص ٩٥.

(٣) ابن جماعة، **كشف المعاني**، مصدر سابق، ص٩٨.

(٤) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٤٠

وفي ذلك يقول ابن جزي رحمه الله: { بِغَيْرِ الحق } بالتعريف باللام للعهد، لأنه قد تقررت الموجبات لقتل النفس، وقال في الموضع الآخر من آل عمران { بِغَيْرِ حَقٍّ } [٢١] بالتنكير لاستغراق النفي، لأن تلك نزلت في المعاصرين لمحمد ﷺ(١) . ثم أن الاختلاف بين ذكر كلمة (بغير حق) و(بغير الحق) تدل على أن استعمال كلمة (الحق) معرّفة تعني الحق الذي يدعو للقتل فهناك أمور يستحق بها القتل. أما استعمال (بغير حق) نكرة فهي تعني لا حق يدعو إلى القتل ولا إلى غيره. فإذا أراد تعالى أن يبيّن لنا العدوان يذكر (بغير حق)(٢).

يتساءل الزمخشري قائلاً في فنقلاته: فان قلت: قتل الأنبياء لا يكون إلا بغير الحق فما فائدة ذكره؟ قلت: معناه أنهم قتلوهم بغير الحق عندهم؛ لأنهم لم يقتلوا ولا أفسدوا في الأرض فيقتلوا، وإنما نصحوهم ودعوهم إلى ما ينفعهم فقتلوهم، فلو سئلوا وأنصفوا من أنفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم(٣).

جمع المذكر السالم إذا كان معه جمع كثرة فإنه يفيد القَلّة وإذا لم يكن معه جمع تكسير يستعمل للقلة والكثرة، فعندما يكون معه جمع تكسير يفيد القلة (النبيين) أما (الأنبياء) فتفيد جمع الكثرة. وهناك أمر آخر هو عندما يذكر معاصي بني إسرائيل يذكر الأنبياء، وإنما قال الأنبياء ؛لأن الرسل لا تسلط عليهم أعداؤهم، ولأنه مناف لحكمة الرسالة التي هي التبليغ قال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا} [غافر: ٥١] وقال: {وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧](٤)

الموضع الخامس عشر: التشابه بين قوله تعالى:(رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(البقرة: ١٢٩)، وفي آل

(١) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، مصدر سابق، ٣٨.

(٢) ينظر: السامرائي، **لمسات بيانية**، مصدر سابق، ٥٩٤.

(٣) الزمخشري، **الكشاف ، مصدر سابق، ج١، ص** ١٧٤.

(٤) ينظر: ابن عاشور ، **التحرير والتنوير**، مصدر سابق، ج١، ص٣١٥. والسامرائي، **لمسات بيانية**، مصدر سابق، ص٥٩٣.

عمران:(لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (١٦٤)، وفي الجمعة قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (٢) **وهو من متشابه اللفظ في التقديم والتأخير(تقديم جملة في موضع وتأخيرها في موضع آخر)**، حيث قدم التلاوة وتعليم الكتاب والحكمة وأخر التزكية في آية البقرة، وورد في السورتين بعدها على العكس من ذلك.

وتوجيه ذلك: أنه لما كانت دعوة إبراهيم عليه السلام قبل وجود الضلال في الذرية المدعو لها وإنما تحصل لهم من تزكيتهم ورفع ضلالهم المتوقع وقوعه بما يمنحونه من التعليم وما يتلى عليهم من الآيات لأن ذلك هو السبب في حصول التزكية والسلامة من الضلال إذا وفقوا للانقياد له ألا ترى أن ارتباط التزكية بأعمال الطاعات قال تعالى: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)(التوبة:١٠٣)، وإنما كانت تزكية لهم بانقيادهم للطاعة فيما يطالبهم به من ذلك ويأخذه منهم فتأخر ذكر التزكية المسببة عما به تحصل وذلك بعد هدايتهم للإيمان فجاء على الترتيب من بناء المسبب على سببه(١).

ولما كان مقصود الآيتين الأخيرتين إنما هو ذكر الامتنان عليهم بهدايتهم بعد الضلال الذي كان قد وجد منهم والتعريف بإجابة دعوة إبراهيم عليه السلام قد أخر ذكر تعليمهم الكتاب والحكمة المزيلين لضلالهم ليكون تلوه ذكر الضلال الذي أنقذهم الله منه بما علمهم وأعطاهم وأمتن عليهم وهو ثاني المسببين ، فكان الكلام في قوة أن لو قيل: ويعلمهم ما به زوال ضلالهم، وأخر في هاتين الآيتين ذكر السبب ليوصل بمسببه الأكيد هنا الذي كان قد وقع وهو رفع ضلالهم من عظيم محنته، ولو أخر ذكر التزكية لما أحرز هذا المعنى المقصود هنا،

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٥١.

فاختلاف الترتيب إنما جاء بحسب اختلاف المقصدين ورعى ما ذكر فورد كل على ما يجب ويناسب والله أعلم بما أراد[١]. وهو توجيه لم أجد أحداً غيره قد فطن إليه.

ولابن ناصر الدين الدمشقي توجيه قيّم حيث بين وجه تأخير التزكية في سورة البقرة بأن التطهير والتقديس لا يكون ذلك إلا بعد الإيمان وتلاوة القرآن، وتعليم الكتاب والحكمة، وطلب ذلك أهم من التزكية، وتقديم الأهم أولى، فحسن تقديم طلب تعليم الكتاب والحكمة، وتأخير التزكية، وأما تقديم التزكية على تعليم الكتاب والحكمة في ال عمران والجمعة، فإن الله قد أثبت للمدعوّ لهم –وهم هذه الأمة–الإيمان أولاً بقوله: (لقد منَّ الله على المؤمنين) فحصلت التزكية بالإيمان وهي أعلى وأعظم تزكية، فناسب تقديم التزكية هنا على تعليم الكتاب والحكمة[٢].

الموضع السادس عشر: المتشابه في التقديم والتأخير، تقديم النصارى على الصابئين في البقرة بقوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٦٢)، وتأخير النصارى وتقديم الصابئون في المائدة: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (٦٩)، وكذا الحج في قوله تعالى(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (١٧).

---

(١) ابن الزبير الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٥١.

(٢) ينظر: الدمشقي، ناصر الدين، **مجالس في تفسير قوله تعالى(لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم)** أخرجه عن أصل مؤلفه وعلق عليه محمد عوامة، دار اليسر– السعودية، (ط٢، ٢٠١٠م) ص٢٥١–٢٥٢.

ومن التشابه أيضا مجيء الصابئين في البقرة والحج بالنصب، وفي المائدة بالرفع، فما السر في ذلك؟

إنّ المتأمل في آية البقرة يلمس أن هذا الترتيب أي في تأخير(الصابئون) على النصارى أمر مقصود له حكمته، فهذا الترتيب الحاصل إنما جاء على حسب ترتيب الكتب المتقدمة، والمعنى أن الذين آمنوا بصحف إبراهيم-عليه السلام- ، والذين آمنوا بتوراة موسى-عليه السلام- وهم اليهود، والذين آمنوا بإنجيل عيسى-عليه السلام-وهم النصارى، فهذا ترتيب على حسب إنزال الله لكتبه، فالترتيب على ما رتبهم من بعثة الأنبياء والرسل ثم أتى بذكر الصابئين، وهم من لا يثبتون على دين، وينتقلون من ملة إلى أخرى، ولا كتاب لهم، فناسب أن يتأخروا عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أما ترتيبهم في المائدة فإن الصابئين مقدمون بالذكر على النصارى، وهذا ترتيب مناسب حيث رتبهم سبحانه وتعالى على حسب الأزمنة؛ لأن الصابئين وإن كانوا متأخرين عن النصارى بأن لا دين لهم، فإنهم متقدمون عليهم من حيث الزمن، لأنهم كانوا قبل عيسى وهذا ترتيب على نية التأخير، ظاهر من رفع الصابئين، وأما آية الحج فترتيبها على حسب الأزمنة لكن لا على نية التأخير معه، لأنه لم يقصد في هذا المكان أهل الكتاب، إذ كان أكثر من ذكر من لا كتب سماوية لهم وهم الصابئون والمجوس، والذين أشركوا عبدة الأوثان، فهذه ثلاث طوائف، وأهل الكتاب طائفتان، فلما لم يكن القصد ترتيبهم بالكتب رتبوا بالأزمنة، وأخر الذين أشركوا مع أنهم موجودون في زمان كل نبي، وكأنهم لما كانوا موجودين في عصر النبي- ﷺ -كانوا أهل زمانه، وهذا الزمان متأخر عن أزمنة الفرق الذين قدم ذكرهم.(١)

(١) ينظر: الإسكافي ، **درة التنزيل وغرة التأويل** ، مصدر سابق، ص١٦- ١٧.

وأما ورود اسم الصابئين في المائدة بالرفع فالجواب عنه: أنه لما ورد مرفوعا تنبيها على الغرض المذكور وتأكيدا للتسوية في الحكم وإذا اتفقوا في الموافاة على الإيمان فنبه التقديم على هذا كما تقدم، وزاد القطع على الرفع تأكيدا؛ لأن قطع اللفظ عن الجريان على ما قبله محرك للفظ توجيهه عند سيبويه رحمه الله مقدم من تأخير وكأنه لما ذكر حكم المذكورين سواهم قيل والصابئون كذلك أي لا فرق بين الكل في الحكم الأخروي وهو على هذا التقدير أوضح شيء فيما ذكر، وأما على طريقة الفراء ومن قال بقوله من حمله على الموضع ففيه التقديم وأن التحريك القطعي في اللفظ وإن لم يكن مقطوعا في المعنى لا يكون إلا لإحراز معنى وليس إلا ما تقدم[١]، وهذا ما يسمى القطع بمعنى أخص الصابرين وهذه كلها تخص التوسع في المعنى في العطف على مغاير حتى يفهمنا تعالى أن هذا ليس بمنزلة الأولى وقد يكون أقل منه أو أعلى منه[٢]. أما البقرة والحج فقد جاءتا على الأصل.

الموضع السابع عشر: المتشابه اللفظي في تقديم الضمير في البقرة بقوله تعالى(وما أهل به لغير اللهـ) وتأخره في المائدة(وما أهل لغير الله بهـ)، وكذا النحل(وما أهل لغير الله بهـ).

يقول الغرناطي موجهاً: أن العرب مهما اعتنت بشيء أو قصدت به قصد زيادة من تأكيد أو تشريف قدمته، أو قدمت ضميره، وليس من كلامهم إجراء هذه الأغراض مجرى غيرها فلكل مقام مقال، وآية البقرة قد تقدم قبلها قوله تعالى: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض) وقوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)، فورد تعريفهم بذكر ما أبيح لهم وورد ما يقصد إيجابه وندبيته وإن كان إنما يراد بها هنا الإباحة مفتتحاً بنداء المخاطبين

(١) ابن الزبير، **ملاك التأويل**، مصدر سابق، ج١، ص٥٦.

(٢) ينظر: السامرائي، **لمسات بيانية** ، مصدر سابق، ص ٤١١.

ومعقباً فيه ما أعملوا بإباحته لهم بالأمر بالشكر الجزيل لتلك النعمة وعظيم التوسعة فيها من قوله تعالى: "مما في الأرض " وقوله "من طيبات ما رزقناكم " فلتوسعة الإحسان والإنعام ما أمروا بالشكر، فلما تحصل بهذه المقاصد الجليلة ما ليس في شيء من تلك المواضع والآيات الأخر وخص ما ذكره بعد بما حرم عليهم بكلمة "إنما " المقتضية الحصر والرافعة لضعف المفهوم حسب ما تقرر من الأصول مثل قوله "فيما سقت السماء العشر " ، "وفى سائمة الغنم الزكاة " في قوة المفهوم المسمى بدليل الخطاب فلما تحصل في هذه الآية ما أشير إليه من تأكيد هذا المحرم ما ليس في الآيات الأخر فناسبه تقديم المضمر المجرور في قوله "وما أهل به لغير الله "؛ ليكون الكلام بتقديم المجرور بقوة أنه لو قيل: إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير والمهل به لغير الله، وهذا مقصود الكلام، ولم يكن تأخير المجرور ليحرز هذا الذي قدرناه ولا ليناسب ما تقدم، فجرى الكلام كله من أول القصة إلى آخرها على أسلوب من البلاغة ملحوظ في آخره وأوله، أما الآيات الأخر فليس فيها ما في هذه فتأخر الضمير المجرور إلى محله الذي هو موضعه إذ لم يقصد هذا القصد ولم يكن ليلائمه التقديم[١] .

(١) ينظر: الغرناطي، **ملاك التأويل**، مصدر سابق ، ج١، ص٥٧.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فبعد هذا التفكر والتدبر لأهل العلم في رحاب آيات الله من سورة البقرة لا يسعني إلا أن أطأطئ الرأس خاضعا لعظمة هذا القرآن وبيانه المعجز، الذي يأخذ بالألباب والعقول، ويأسر القلوب بروعة بيانه ونظمه، وهذا شعور كل من يقف أمام آيات الله متدبراً، ومتذوقاً حلاوة عباراته التي تنساب انسياب الماء، ليبعث الحياة من جديد، ومن ثمار هذه الجولة السريعة، والتطواف في ظلال آيات من سورة البقرة واضيئت الأنوار وكشفنا الستار عن بعض الحكم والأسرار من وراء ما يكون من تشابه واختلاف في بعض المواطن التي شابهت أو اختلفت فيها البقرة عن غيرها من السور، ومن هذا البحث الوجيز برزت بعض النتائج، أهمها:

١. إن من أهم أدوات ولوازم من يريد أن يقف أمام المتشابه اللفظي من الآيات ليبين حكمه وأسراره، ويقطف ثماره، ويكشف عن أسباب هذا التشابه والاختلاف، يلزمه معرفة السياق القرآني (السباق واللحاق)، ومعرفة اللغة وصرفها، ودلالة الألفاظ، فهي سبل لا بدّ منه لتوجيه ما يكون من تشابه أو اختلاف في ألفاظ القرآن الكريم.

٢. إن معرفة الحكمة لما يحصل من تشابه أو اختلاف لفظي بين الآيات له الأثر البليغ في تفسير القرآن، وفهمِ معانيه الظاهرة والثانوية فهما دقيقا سليما، وفقهِ أحكامه إن نحن فرقنا بينها في الدلالة.

٣. من المعلوم أننا مأمورون بتدبر الآيات، قال تعالى: {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ} (صّ:٢٩) بل أنكر جلّ وعلا على من لم يتدبره فقال:{أَفَلا

يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} (محمد:٢٤) وليس المقصود من التدبر ذات التدبر، وانما فهم آيات القرآن الكريم عن طريق تدبره، والهدف من فهم القرآن الكريم هو الاهتداء بهديه والعمل بما فيه، وهذا هو غاية المقصود من تنزيله، فمعرفة التفريق بين الآيات المتشابهة من أسمى وجوه التدبر.

٤. إن مما يزيد من أهمية البحث في دراسة المتشابهات اللفظية ما يظهر من طغيان الألفاظ التي قيل بترادفها طغيانا كبيرا، حتى أصبح الحكم بترادف الألفاظ منتشرا بين كثير من طلبة العلم الشرعي، وقد أضر ذلك الاتجاه بالعربية عامة وبفهم القرآن الكريم وتفسيره خاصةً، ولو أتْعَبَ أصحابُ هذا المذهب أنفسَهم قليلاً وأعادوا النظرة تلو الأخرى للاحظوا فروقاً كبيرة ودقيقةً بين تلك الألفاظ التي اتهموها بالترادف.

٥. إن علم المتشابه اللفظي سراً من أسرار الإعجاز البياني للقرآن؛ وذلك باختيار المكان الأنسب لكل كلمتين متشابهتين؛ مما جعل من كلمات القرآن الكريم معجزة بيانية خارقة وخالدة، في تنسيقها وترتيبها واختيار مواضعها وتفصيلها التفصيل المناسب، إذ لو أردنا أن نستبدل كلمة بغيرها لما وجدنا ما يسد مسدّها من الكلمات العربية على اتساعها وتنوعها، فإما أن يصبح المعنى فضفاضاً وإما ضيقاً.

٦. إن المتشابه اللفظي مر بمراحل حتى صار بهذه الأهمية، فهدفه في البداية كان محصوراً على بيان الآيات المتشابهة التي تلتبس على حافظ القرآن؛ ليسهل حفظ القرآن من غير توجيه، ثم وجدت الحاجة لبيان الأسرار من وراء هذا التشابه والاختلاف في الألفاظ.

هذا فما كان من توفيق وصواب فبفضل من الله وحده، وله الحمد، وما كان من خطأ وزلل، فمني ومن الشيطان، سائلاً المولى عز وجل العفو والمغفرة، وأن لا يحرمني الأجر على النية، وهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة، وهو يهدي السبيل.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا(ت٣٩٥هـ) ، معجم مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه: أنس محمد الشامي ،دار الحديث- القاهرة،(٢٠٠٨م).

٢. الاسكافي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب(ت٤٢٠هـ)،درة التنزيل وغرة التاويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز ،اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة بيروت-لبنان،ط١(٢٠٠٢).

٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تأويل مشكل القرآن علق عليه :إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

٤. ابن الزبير الغرناطي، ابي جعفر أحمد بن إبراهيم،(ت٧٠٨)، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية -بيروت،ط١(٢٠٠٦م) .

٥. ابن الجوزي، أبي الفرج جمال الدين بن علي بن محمد بن جعفر، المدهش، تحقيق: د. مروان قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.

٦. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.

٧. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن تحقيق: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث-القاهرة، (٢٠٠٦) .

٨. ابن جماعة، بدر الدين (ت ٧٣٣ هـ)، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة ،الطبعة الأولى(١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م).

٩. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧ هـ).

١٠. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد متولي منصور، مكتبة دار التراث–القاهرة، ط١(٢٠٠٧م) .

١١. الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية– بيروت،(١٤١٥ هـ).

١٢. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، إعجاز القرآن البياني ،ودلائل مصدره الرباني، دار عمار، ط٣(٢٠٠٨م) .

١٣. الصايل، محمد بن علي بن محمد، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، دار أشبيليا– بيروت،ط١(٢٠٠١م).

١٤. عبد القيوم بن عبد الغفور السندي، منظومتان: هداية المرتاب للإمام السخاوي، وكفاية القارئ، للإمام الحارثي التتوي (تعريف ومقارنة).

١٥. السامرائي، فاضل صالح، التعبير القرآني، دار عمار ،ط٩،٢٠١٠م.

١٦. عباس، فضل حسن، إعجاز القرآن الكريم، دار النفائس–عمان ، ط٧، ٢٠٠٩م.

١٧. الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت٥٠٥)،البرهان في توجيه متشابه القرآن الكريم، تحقيق جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث،ط١(٢٠٠٧م).

١٨. الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط .

١٩. الفيروز آبادي: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ)، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز

٢٠. ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن جزي الكلبي الغرناطي المالكي[٦٩٣ ــ ٧٤١ هـ] التسهيل لعلوم التنزيل.

٢١. الطاهر، محمد بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ،ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٢. الدرويش، محي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، دار ابن كثير–دمشق، ودار اليمامة، بيروت، (ط٩ ٢٠٠٣م).

٢٣. الدمشقي، ناصر الدين، مجالس في تفسير قوله تعالى(لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم) أخرجه عن أصل مؤلفه وعلق عليه محمد عوامة، دار اليسر– السعودية،(ط٢، ٢٠١٠م).

References

- **Alquran Alkarim**

1- Ibn Faris, Abu Al-Hussein Ahmad bin Faris bin Zakaria (d. 395 AH), Dictionary of Language Standards, reviewed and commented on by: Anas Muhammad Al-Shami, Dar Al-Hadith - Cairo, (2008 AD)..

2-Al-Iskafi, Abu Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Khatib (d. 420 AH), Durrat al-Tanzil wa Ghurat al-Ta'wil in explaining similar verses in the Holy Book of God, taken care of by Khalil Mamoun Shiha, Dar al-Ma'rifa, Beirut, Lebanon, 1st edition (2002.).

3-Ibn Qutaybah, Abu Muhammad Abdullah bin Muslim bin Qutaybah al-Dinouri (d. 276 AH), Interpretation of the Problem of the Qur'an, commented on by: Ibrahim Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut-Lebanon, 2nd edition, 2007 AD.

4-Ibn al-Zubayr al-Gharnati, Abi Jaafar Ahmad ibn Ibrahim, (d. 708), the angel of interpretation that decisively opposes those who are atheists and obstructionists in directing similar wording from the verse of revelation, footnotes by: Abd al-Ghani Muhammad Ali al-Fassi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition (2006 AD).

5-Ibn al-Jawzi, Abu al-Faraj Jamal al-Din bin Ali bin Muhammad bin Jaafar, al-Mudhiz, investigated by: Dr. Marwan Qabbani, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, second edition, 1985..

6-Al-Fayoumi, Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Fayoumi, then Al-Hamawi, Abu Al-Abbas (d. 770 AH), Al-Misbah Al-Munir fi Ghareeb Al-Sharh Al-Kabir.

7-Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad bin Abdullah bin Bahadur Al-Zarkashi (d. 794 AH), Al-Burhan fi Ulum Al-Qur'an, edited by: Abi Al-Fadl Al-Dumyati, Dar Al-Hadith - Cairo, (2006).

8-Ibn Jama’ah, Badr al-Din (d. 733 AH), Kashf al-Ma’ani fi al-Mutabhab min al-Mathani, edited by: Dr. Abd al-Jawad Khalaf, Dar al-Wafa’, Mansoura, first edition (1410 AH/1990 AD.).

9-Al-Zamakhshari, Jarallah Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar (d. 538 AH), Al-Kashfah fi Facts of the Mysteries of Revelation and the Eyes of Sayings in the Faces of Interpretation, Dar Al-Kitab Al-Arabi, Beirut (1407 AH.(

10-Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Al-Kamal Jalal Al-Din Al-Suyuti, Perfection in the Sciences of the Qur’an, edited by: Muhammad Metwally Mansour, Dar Al-Turath Library - Cairo, 1st edition (2007 AD.).

11-Al-Alusi, Shihab al-Din Mahmoud Ibn Abdullah al-Husseini, The Spirit of Meanings in the Interpretation of the Great Qur’an and the Seven Mathanis, edited by: Ali Abd al-Bari Atiya, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, (1415 AH.(

12-Al-Khalidi, Salah Abdel Fattah, The Miracle of the Clear Qur’an, and Evidence of its Divine Source, Dar Ammar, 3rd edition (2008 AD.).

13-Al-Sayel, Muhammad bin Ali bin Muhammad, From the Rhetoric of Verbal Similarities in the Holy Qur’an, Dar Ashbilia - Beirut, 1st edition (2001 AD.).

14-Abd al-Qayyum ibn Abd al-Ghafour al-Sindhi, Two Manzum’at: Guidance of the Doubt by Imam al-Sakhawi, and Kifayat al-Reciter by Imam al-Harithi al-Tatwi (definition and comparison..(

15-Al-Samarrai, Fadel Saleh, Quranic Expression, Dar Ammar, 9th edition, 2010 AD.

16-Abbas, Fadl Hassan, The Miracle of the Holy Qur’an, Dar Al-Nafais - Amman, 7th edition, 2009 AD..

17-Al-Kirmani, Mahmoud bin Hamza bin Nasr Al-Kirmani (d. 505), Al-Burhan fi Tawjid Al-Mushtabi’ Al-Qur’an Al-Kareem, edited by Jamal

Al-Din Muhammad Sharaf, Dar Al-Sahaba for Heritage, 1st edition (2007 AD.)

18-Al-Fayrouzabadi (d. 817 AH), Muhammad bin Yaqoub, Al-Qamoos Al-Muhit.

19-Al-Fayrouzabadi: Majd al-Din Abu Tahir Muhammad bin Yaqoub (d. 817 AH), Basa'ir Dhu'l-Tamamis fi Lataif al-Kitab al-Aziz

20-Ibn Jazi, Muhammad bin Ahmad bin Muhammad bin Jazi al-Kalbi al-Gharnati al-Maliki [693-741 AH] Al-Tasheel li'l Ulum al-Tanzeel.

21-Al-Tahir, Muhammad bin Ashour al-Tunisi (d. 1393 AH), Liberation and Enlightenment known as Tafsir Ibn Ashour, Arab History Foundation, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1420 AH/2000 AD..

22-Al-Darwish, Muhyiddin, The Parsing and Explanation of the Holy Qur'an, Dar Ibn Katheer - Damascus, and Dar Al-Yamamah, Beirut, (9th edition 2003 AD)

23-Al-Dimashqi, Nasser Al-Din, Councils on the Interpretation of the Almighty's saying (God has indeed favored the believers when He sent among them a messenger from among themselves) narrated by the original author and commented on by Muhammad Awama, Dar Al-Yusr - Saudi Arabia, (2nd edition, 2010 AD.)